خَمَائِلُ الواحَة

مجموعة قصصية

obeikandl.com

obeikandl.com

خَمَـــائِلُ الواحَـة

مجموعة قصصية

مجموعة من أدباء رابطة الواحة الثقافية

من إصدارات

رابطة الواحة الثقافية

القطاف الأول ٢٠١٣

obeikandl.com

إهـــــداء

إلى المكتبة العربية ومحبي الأدب

إلى كل ساهر يرعى اللغة ويذود عن الهوية

إلى كل من بذل وشارك في إنجاز هذا المشروع

إلى كل عضو صادق من أعضاء رابطة الواحة الثقافية

obeikandi.com

فروسيّة

بقلم: د. سمير العمري

خُطُواتٌ رَشيقَةٌ رَتِيبةٌ تتَهادَى عَلى أَدِيمِ الأَرْضِ كَإِوَزٍّ حالِمٍ يَسْبَحُ فِي أَصِيلٍ عَلى لُجَينِ بُحيرةٍ ساكِنَةٍ، وَعَينانِ واثِقَتانِ تَرْنُوانِ لِلأُفُقِ فِي أَرَبٍ ودَأَبٍ ، وَطَرِيقٌ عَمِيقٌ يَضِيقُ حِينًا وَيَنْفَرِجُ حِينًا بينَ ودْيانٍ وَجِبالٍ وَسُهولٍ وَتِلالٍ. كَانَ المِساءُ لا يَزَالُ يُراوِدُ الشَّمْسَ عَنْ ضَوْئِهَا، فُيُرْسِلُ نَسائِمَ غَسَقٍ بَارِدٍ تَلْفَحُ وَجْهَهَا؛ لِتَذْبُلَ مِنْهَا العُيُونُ، وَتَسْتَسْلِمَ وَادِعَةً لِسِحْرٍ لا يُقَاوَمُ. تَغْفُو خَلْفَ جَبَلٍ فِي الأُفُقِ عَظِيمٍ.

أَرْخَى السُّكُونُ عَلَى الكَوْنِ حُلَّةً مِن الدَّهْشَةِ وَالرَّهبةِ؛ إِلّا مِنْ وَقْعِ تِلكَ الحَوَافِرِ، وَشَدْوٍ بَعِيدٍ لِعَصافِيرَ تَعُودُ قَبْلَ أَنْ تَخْذلُهَا بَقَايَا ضَوْءٍ شَاحِبٍ، وأَطْرَافُ أَجْنِحَةٍ أَرْهَقَهَا طُولُ السَّعْيِ وَالتَّحْلِيقِ. وَفَجْأَةً، قَدَّتْ صَرَخَاتٌ مُدَوِّيَةٌ قَمِيصَ الصَّمْتِ مِنْ دُبُرٍ:

ـ النَّجْدَة ، النَّجْدَة! أَغِيثُونِي أَيُّهَا النَّاسُ! ارْفَعْ يَدَكَ النَّجِسَةَ عَنِّي أَيُّهَا الخَبِيثُ! قَاتَلَكَ اللهُ!

obeikandl.com

انْطلَقَ يَصْعَدُ بِجَوَادِهِ التَّلَّةَ، يَسْتَكشِفُ مَصْدَرَ الصَّوتِ ثُمَّ هَوَى كَالرِّيحِ يَلْكزُ ذَلكَ الخَبِيثَ؛ لِيَهْوِيَ فِي وَادٍ سَحِيقٍ، وَيَلتَفِتَ إِلى حَيث كَانَتْ عُيُونُهَا تَشْكُرُهُ، وَلِسَانُهَا لا يَزَالُ عَاجِزًا يبحث عَن كَلِماتٍ تُنْصِفُهُ، ثُمَّ أَشَارَتْ إِلى حَيث أَرَادَتْ.

كَانَ يَجُرُّ جَوَادَهُ، وكُلَّمَا صَرَخَتْ قَدَمَاهُ مِنْ بَلَلٍ نَهرِهَا وقَارُهُ، وَكَلَّمَا نَخَزَهُ جَنْبُهُ مِنْ كَلَلٍ أَنْكَرُهُ إِبَاؤهُ. يَجُولُ بِبَصَرِهِ فِي الأَنْحَاءِ تَأَهُّبًا، وَيَختَلِسُ النَّظْرَةَ إِلى الخَلْفِ تَحَسُّبًا، وَفِي قَلْبِهِ سَكَنَ حُزْنٌ دَفِينٌ.

ـ نَحْنُ قَومٌ غُرَبَاءُ يَا بُنَيّ. قُدِّرَ أَنْ نَسْكُنَ هَذِهِ القَرْيَةَ الظَّالِمَ أَهْلُهَا. وَهَا وَهَنَ العَظْمُ مِنِّي، وَنَاهَزَ العُمْرُ كِبَرًا عِتِيًّا، وَإِنِّي أَخشَى عَلَيهَا وَابْنَتَيهَا مِنْ غَولِ مَا سَيَأتِي. قَدْ أَنْقَذْتَهَا مِن الغَدْرِ وَلَيتَكَ تُنْقِذُهُمْ مِن نَوَائِبِ الدَّهْرِ يَكُنْ لَكَ بِزَوَاجٍ الأَجْرَ الكَبِيرَ.

ـ وَلَكِنْ أَيُّهَا الشَّيخُ الجَلِيلُ، إِنَّ دَربِي طَويلٌ، وَهَمِّي ثَقِيلٌ، وَزَادِي قَليلٌ، وَلا أَحْسَبُهَا تَسْتَطِيعُ مَعِيَ صَبرًا، وَلَولا أَنَّ فِي...

. بَلَى أَسْتَطيعُ، وَلَنْ تَجِدَنِي إِلا صَابِرَةً رَاضِيَةً وَلا أَعصِي لكَ أَمْرًا. يَكْفِينِي أَنْ أَكُونَ فِي كَنَفِكَ آمِنَةً فِي جَنْبٍ، عَائِشَةً فِي حَدبٍ.

. أَمَا زَالَ الدَربُ طَويلا؟ قَدْ مَلَلْتُ طُولَ الانْتِظَار.

هَتَفَتْ مِنْ خَلْفِهِ ثُمَّ أَرْدَفَتْ:

. لِمَ لا نَسْلكُ هذَا الطَّرِيقَ المخْتَصَرَ بَدلَ الالتِفَافِ الطَويلِ حَولَ هَذهِ الجِبالِ الكَثِيرةِ؟

انْتَبَهَ إِلَيهَا مِنْ سطْوَةِ أَفْكَارِهِ يَرَى نَبْرَتَهَا تَحْتَدُّ يومًا فيومًا..

. لأَنَّ هذَا الطَّرِيقَ خَطِيرٌ يَكْثُرُ فَيهِ اللصُوصُ وقُطَّاعُ الطُّرقِ، وَتَكْثُرُ فِيهِ الانْهِيَارَاتُ الصَّخْرِيَّةُ، وَفُرَصُ النَّجَاةِ مِنْهُ ضَئِيلَةٌ، وَإِنِّي لا أُحِبُّ أَنْ أُغَامرَ؛ حِرصًا عَليكُمْ.

. بَلْ أُرِيدُكَ أَنْ تُغَامِرَ فَهَذَا خَيرٌ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ؛ إِلّا أَنْ تَكُونَ أَنْتَ مَنْ يَخْشَى ذَلكَ أَو يَسْعَدُ بِشَقَائِنا.

ـ كَلا، لا هَذِه ولا تِلكَ. سَلَكْتُهُ كَثِيرًا، وَلَكِنْ هَذهِ المرَّةَ الوَضْعُ مُخْتَلِفٌ، وَأَرَى أَنْ لا نُعَرِّضَ الحَيَاةَ لِخَطَرٍ يُمْكنُ تفَاديهِ ببَعضِ صَبرٍ. سَنَدُورُ حَولَ هَذِهِ السِّلْسِّلَةِ، وَبَعْضُ انْتِظَارٍ آخَرَ لا يَضِيرُ.

ـ بَلْ يَضيرُني، وَمَا أَرَاكَ إِلا جَبَانًا تَتَذَرَّعُ بِنَا، وَلَو كُنتَ الفَارِسَ الذِي تَدَّعِي لَوَاجَهْتَ كُلَّ صَعْبٍ مِن أَجْلِي. مَا عُدْتُ أرِيدُكَ، وَإِنِّي أَطْلُبُ الفِرَاقَ فَكُنْ رَجُلا وَوَافِقْ.

أَومَأَ بِعَينَيهِ مُوافِقًا، ثُمَّ أَشَاحَ بِوَجْهِهِ يبْتَسِمُ فِي أَلَمٍ، وَأَغمَضَ عَينَيهِ يَهْرُبُ مِنْ هَولِ مَا رَأَى تَحْتَ ذَلكَ القِنَاعِ؛ لِيَغْرَقَ فِي أَفْكَارِهِ مِنْ جَديدٍ.

ـ تَزَوَّجْهَا يَا بُنَيَّ مِنْ أَجْلِي وَمِنْ أَجْلِ ابْنَتَيهَا هَاتَين، فَإِنِّي لا أَكَادُ أحمِيهَا حَيًّا، وَمَتَى مِتُّ سَيَغلِبُهَا القَومُ عَلَى أَمْرِهَا يَسُومُونَهَا سُوءَ الهَوَانِ وَيُؤْذُونَني ـ وَأَنَا الشَّيخُ الجَلِيلُ ـ فِي ذُرِيَّتِي.

نَظَرَ إِلى عَينَيِّ الشَّيخِ الدَّامِعَتينِ، ثُمَّ جَالَ بِبَصَرِهِ نَحْوَهَا تُناشِدهُ عيْنَاهَا القَبُولُ، ثمَّ نَحْو عُيُونِ الطِفْلَتينِ الذَّاهِلَتِينِ لا تَعْرِفَانِ مِن القَولِ إِلا شتَاتَ ظَاهِرِه.

ـ لا تَهْتَمَّ لأَمْرِ الطِّفْلَتينِ، يُمْكِنُنِي الاستِغْنَاءَ عَنْهُمَا مِنْ أَجْلِكَ.

عَادَ يَجرُّ الجَوادَ، وهو يَخْتَلِسُ النَّظَرَ إِلى الطِّفلَتينِ المرْهَقَتينِ عَلَى ظَهْرِهِ، وَقَدْ تَشَبَّثَتَا بِأَثوَابِ أُمِّهِمَا خِشْيَةَ السُّقُوطِ فِي هَذَا الطَّرِيقِ الضَّيِّقِ المحَاطِ بِصُخورٍ حَادَّةٍ وَأَودِيةٍ عَمِيقَة.

ـ لَولا هَاتَانِ الطِّفْلَتَانِ، وتوسُّل الشَّيخِ الكَبيرِ لَمَا كُنْتُ أَثْقَلتُ بِكِ كَاهِلِي، فَأَيُّ قَلْبٍ لَكِ أَيتُهَا المرأةُ، وَأَيُّ قَلبٍ لَكَ أَيهَا الرَّجُل؟!

كَانَ صرَاخُهَا يعلُو، وَأَقْنِعَتُهَا تتَسَاقَطُ، وَهُوَ يَجُرُّ قَدميهِ، فَجوادَهُ فِي ذَاكَ الطَّرِيقِ الذِي قَسَرَتْهُ إِلَيهِ يَتَأَلَّمُ لِمَا آلَتْ إِلَيهِ حَالُهُ، وَبِمَا أَرْهَقَهُ بِهِ سُؤَالُهُ، وَبِمَا أَشْغَلَهُ ذَاكَ كُلُّهُ عَنْ طَلَبٍ لا يَنالُهُ ، يُقَلِّبُ بَصرَهُ تَأَهُّبًا وَتَوجُّسًا، وَيُصَارِعُ فِكْرَهُ تَأَسُّفًا وَتعَفُّفًا.

obeikandl.com

لَقَدْ أَطْعَمَ المرْأَةَ زَادَهُ، وَأَرْكَبَهَا جَوادَهُ، وَشارَكَهَا وِسَادَهُ، وَأَسْكَنَهَا رَغْمَ الأَسَى فُؤَادَهُ، فَمَا وَجدَهَا إلا تُورِدُهُ التَّهْلُكَةَ وَتَتَّهِمُهُ بِهَا، وَتُجْهِدُهُ المستَحِيلَ وَتَخْذُلُهُ فِيهِ، وَتَأمُرُهُ بِالعَدلِ وَهِيَ تَظْلِمُهُ.

أَقبَلَ مَساءٌ آخرُ بِقَلبٍ مُشْفِقٍ عَلَيهِ عَلَّهُ يَستَرِيحُ. جَلَسَ يُقَلِّبُ عَلَى نَارٍ أَشْعَلَهَا، أَرْنَبًا اقْتَنَصَهُ قَبْلَ أَنْ تُوَدِّعَ الشَّمْسُ مَدارَهَا، وقَدْ تَنَقَّلَ بَصَرُه بِهُدُوءٍ بِينَ الطِّفْلَتينِ حينَ جَلَسَتَا غَيرَ قَرِيبٍ مِنْ مَوضِعِ النَّارَينِ طَلَبًا للسَّكِينَةِ وَبَينَ الأُفُقِ المُمْتَدِّ عَلَى مَدَى الأَحزَانِ الدَّفِينَةِ.

ـ مُبارَكٌ عَلَيكَ الزَّوَاجُ يَا بُنَيَّ، وَأَعَانَكَ اللهُ عَلَى أَمْرِكَ فِيهِ.

رَنَا بِصَمْتٍ وَتَسَاؤُلٍ فَأَرْدَفَ الشَّيخُ:

ـ اصْبِرْ لِحُكْمِ اللهِ وَلا تَضْجَرْ، واسْتَعِنْ باللهِ ولا تَعجَزْ، وَأَدْعُو اللهَ للجَمِيعِ بالهِدايَةِ، فلا يَأْتِي يومٌ تُدْرِكُ فِيهِ مَا......

ـ أَمَا انْتَهَى هَذا الشّوَاءُ؟! قَدْ بَاتَ كُلُّ شَيءٍ مُملًا وَمُزْعِجًا. مَتَى يَنْتَهِي هَذَا كُلُّهُ وَنَصِلُ إِلى حَيثُ أُرِيدُ؟!

هَكَذَا أشعَلتْ عَلَيهِ خَواطِرَهُ بِصَوتٍ عَالٍ وَتَوتُّرٍ شَدِيدٍ.

. أَلَمْ أَقُلْ لَكِ إِنَّكِ لَنْ تَسْتَطِيعِي مَعِيَ صَبْرا؟!

. هَكَذَا أَنْتَ دَائِمًا! مَنْ تَظُنُّ نَفْسَكَ لِتُحَدِّثني بِمِثْلِ هَذهِ اللهْجَةِ؟! انْتَبِهْ جيدًا لِمَا تَقُولُ، وَحاذِرْ فَلا تَتجَاوَزْ مَعِيَ حُدُو.....

قَامَ فَجْأةً مَنْتَفِضًا يَصْرُخُ بِهَا:

. ارْتَدِّي إِلَى الوَرَاءِ بِسُرْعَةٍ ... هَيَّا ، هَيَّا!...

لَمْ تَسْمَعْ لَهُ، بَلْ رمَقَتهُ مُتَنَمِّرَةً، وقَبْلَ أَنْ تَوَاصِلَ كَلامَهَا ذَاكَ، قَفَزَ يَدْفَعُهَا إِلَى الخَلْفِ بِقُوَّةٍ أَسقَطتْها عَلَى بَعْضِ صُخُورٍ نَاتِئَةٍ إِلَى حَيثُ كَانَت ابْنَتَاهَا.

. قَدْ آذيتَنِي قَاتَلَكَ اللهُ! خَدَشْتَ سَاقِي وَآذَيتَ ذِرَاعِي. أَيُّ خُلقٍ خَسِيسٍ، وأيُّ تَصَرّفٍ دَنِيءٍ؟!

التَفَتتْ إِليهِ وَزَمجَرتْ:

. أَهَذِهِ هِيَ فرُوسِيتُكَ المزيَّفَةُ، وَرُجُولَتكَ المزْعُوووو!

تَوَقَّفتْ فَجْأَةً، فَقَدْ رَأَتْ وَجْهًا غَرِيبًا مرِيبًا قَد ارْتَسَمَتْ عَلَيهِ ابْتِسَامَةُ زَهْوٍ وَظَفرٍ، يسْتَنِدُ بِتَبَاهٍ إِلى صَخْرَةٍ كَبيرَةٍ سَدَّتِ الطَرِيقَ خَلفَهُ.

وَفِي وَقْتٍ مُتَأَخِّرٍ مِنْ تِلكَ الليلةِ، كَانَتْ جَلْجَلَةُ ضَحِكَاتِهَا تُزَفُّ عَرُوسًا فِي أَحَدِ الكُهُوفِ، تَعْلُو عَلَى صَهِيلِ جَوَادٍ حَزِينٍ يَرْكُلُ عَبَثًا تِلكَ الصَّخْرَةَ الكَبيرَةَ بأَقْدَامِهِ وَفِي عَينَيهِ دَمْعَةُ وَفَاءٍ.

obeikandl.com

صيّاد

بقلم: ربيحة الرّفاعي

أُحِبُّها، وأَعلَمُ أنَّها تُحِبُّني رُبَّما فَوْقَ ماحَلُمْتُ، تّنْتَظِرُ بِشَوقٍ إطْلالَتِي، هَمْسَتي، مُرورِيَ السَريعَ بِها بَينَ مَحطَّاتي الكَثيرَةِ وشُؤونِي التي جَعلتُها -دائِما- آخِرَها؛ لِثِقَتي الأَكيدةِ منْ حُبِّها، ويَقيني أَنَّها ستَفرِض على نفسِها تَفهُّمَ الوَضْعِ، واستيعابَ الظَّرْفِ كَأبْدَعِ ما تكونُ الأُنْثى. ولم تُخَيِّب هِيَ ظَنّي، وَلكِنّي خَيَّبْتُه، لَم أَستطِع يَوْماً خَلْعَ بزّةِ الصَّيادِ الّتي وُلِدْتُ أَلْبَسُها. فَأنا رَجُلٌ يَسْتَهوِيني الجَمالُ، وَتَرْتَمي رُوحِي راغِمَةً عَلى أعْتابِ النَّظَراتِ الفَاتِنَةِ، بَيْنَ سَيْفِ رِمْشٍ أَحدَّ مِن أَن يَتَجاهَلَهُ رَقِيقُ قَلْبٍ مِثْلي، وَشاطِئُ جَفْنٍ يُغرِي بِاقْتِرابٍ، وَيُلْقِي فِي خِضَمِّ عُيُونٍ، هِيَ البَحْرُ أَيّاً كانَ لَونُها.!

أَهْرُبُ مِن بَيْنِ يَدَيْها بِأَلْفِ حُجَّةٍ وحُجَّةٍ، وتَخْتَبِئُ فِي ضَمِيرِي أُنْثى تَقْبَعُ في زَاوِيَةٍ ما مِنْ كُلِّ حُجَّةٍ جَديدَةٍ، وأَتَصَوَّرُني أَقنَعْتُها فِي كلِّ مرَّةٍ، فأَجِدُ مِنْها تَلْمِيحاً واهِياً تُوصِلُهُ مُتَرَدِّدَةً، رُبَّما بينَ خَوْفِها مِن انزِعَاجِي، وحِرْصِها عَلى لَفْت انتِبَاهِي، فَأَتَجاهَلُهُ وَكَأَنَّما أَمْحُوهُ بِتَجاهُلِه، وقَدْ تَجاهَلَتْ وتَعامَيْتُ، وَ تَحَمَّلَتْ وَتَمادَيْتُ، وَلَمْ

أَلْحَظْ في ضَجِيجِ أَيّامي واهتِمَامَاتي أنَّ ذلِكَ البَريقَ في عَيْنيْها، حِينَ أُمْسِكُ بِوَجْنَتيْها بَيْن كَفَّيَّ، بَدأَ يَخْفُتُ يوماً عَن يَوم.

حينَ هَرَبْتُ مِنْها فِي لِقَائِنا الأَخِير، وَدَّعَتْنِي بِتبَرُّمٍ لَمْ تُحاوِل إِخفَاءَهُ، وَقَرَّرتُ أنْ أَلْعَبَ دَوْرَ الغَاضِبِ المتَأذّي عِنْدَما أعُودُ، لكنَّها لم تَكُن حيْثُ انْتَظَرْتُ. نَادَيْتُها فَلَمْ تُجِبْ نِدائِي، وعَدَوْتُ مَذْعُوراً أَبْحَثُ عَنِّي، عَنْ صَدْرِهَا يَحْتَوِينِي وَحَنَانِهَا يَلُفُّني، قَلَبْتُ عَالَمِي رَأْسَاً عَلى عَقِبٍ، فَوَجَدْتُهَا في زَاوِيَةٍ أَسْكَنْتُهَا فِيهَا ذَات حُلُمٍ، وَحيدَةً تَجُوبُ بِعَيْنَيْهَا الفَضَاءَ بَحْثاً، ظَنَنْتُهُ عَنِّي، فَاقْتَرَبْتُ وَلَكِنَّها أَبْعَدَتْنِي...
اذْهَبْ أَرْجُوكَ ... فَأنا ما زِلْتُ أَبْحَثُ عَن ثِقَةٍ بِكَ أحْتاجُها لِأَسْتَمِرَّ.

العجوز

بقلم: كاملة بدارنه

قال لها العجوز: إنّ لماء البحر ميزاتٍ عجيبة، إذ يقتلع براثن التّفكير، ويزيد في قلبك اليقين، ويعينُك على تحقيق ما تبغين... فاذهبي إلى البحر، تأمّلي وتعلّمي، وعدّي ستّ موجات، ومن ماء الموجة السّابعة، اغسلي وجهك، ودعي الماء يبلّل كلّ جسدك؛ ليزيل عنك الشّرور، فتبدأ حياة السّرور...

غزلت بمغزل اللّيل الطّويل أوشحة لفّت بها مجسّمات أفكارها، وشهقات سود أيّامها، وخَيبات جميل أحلامها؛ لتلقيها في أعماق اليمّ...وأسعدها وهي في غمرة شرودها أنّ سنونو الفجر قد نبّه حواسّها، التي جرّها غراب الفكر إلى خربة الأوهام؛ مقلّبة أحجارها، فأرجعها إلى عمارة الحاضر، ورغبةِ تزيين جدرانها، وإعلاء سقوفها... وحضَرَتها صورة نوارس الأمل التي ستلتقي بها فوق موجات شاطئ البهجة.

باغتها التّردّد أثناء عزمها على مغادرة كُوّة التّعب إلى بوّابة الرّاحة. فقد نسيت الوقت الملائم للقاء الذّات والبحر... أفجرًا هو أم عصرًا؟!

وقفت على حصى الحيرة، وانتابها شعور بغياب البصيرة المعينَة على تجاوز الكثير من الأمور الخطيرة!

ما العمل ؟ فهي لا تستطيع البحث عمّن أسدى لها النّصيحة...

إنّ شوارع المدينة مزدحمة، ولم تعرف عنه بعد لقائها القصير به سوى رغبته في تفريغ حمولة صناديق هموم من يرسلهم القدر إلى طريقه، وملئها بياقوت الأحلام، وتسهيل صعوبات الأقدار؛ واعدًا إيّاهم بعدم إفشاء الأسرار...

رست بها فكرة لمعت في عتم الفكر، على شواطئ المساء؛ اعتقادا منها أنّ موج المساء الهائج أكثر ملاءمة لهيجان فكرها.

سُرّت لعودة وهج البصيرة، سلطانة فكرها التي تنصاع لومضاتها المثيرة ...

ستنتظر المساء بتلهّف، بعد قضاء ليلة، دارت في دياجيرها بجناحيّ الخوف والقلق.

ها هو طائر السّنونو لا يزال حائما حول غرفتها... استغربت وجوده، وغياب طائر الدّوري الذي اعتادت إطعامه كلّ فجر بيدها.

اقترب من اليد المبسوطة بحذر، التقط حبّة، وعاد بعد هنيهة؛ ليتناول الأخرى. وفي المرّة الثّالثة، انتزع الحبّة وقطعةً صغيرة من جلد يدها،

وأمسك بمنقاره باللّحم كأنّه يبغي إلى العظم سبيلا. فصرخت متأوّهة، وألقت بالحَبّ بعيدا، فطار مخلّفا خيوط الدّماء المسيلة...

أزفتِ السّاعة، وانشرح الصّدر، فهرولت نحو الشّاطئ؛ لتمدّ فوق الأمواج حين مدّها، بساط رغباتها، وتطرح مع جزْرها صُوَر ممقوتاتها...

ركّزت ناظريها على موجة، وفصلتها عمّا تطاردها؛ كي تكون دقيقة في تعداد السّبع موجات، وانتظرت اقتراب كلّ موجة؛ لتلّف بين طيّاتها ما ترفضه ذاتها.

اللهمّ بلّلني بندى السّكينة، وجفّف لي ينابيع القلق والحيرة...

تصل الموجات تباعا؛ لتسطر عليها حروف إصرارها في إلقاء كدر الأمور إلى جوف المجهول؛ وطلب الصّفو المأمول...

اللّهمّ...

اغرس فيّ يقينا، واقلع منّي الشّكّ

دثّرني قناعة، واخلع عنّي ثوب الجشع

زدني علما، وأنقص من جهلي

اسقني فرحا، وأظمِئ الحزن

أنِرني أملا، وأطفِئ فتيل اليأس

obeikandi.com

أمطِرني حبّا!

وبينا هي تقترب، وتخترق عباب الموجة غاسلة وجهها بماء الحبّ الذي طلبته، وأحسّته، احتضنتها الموجة بقوّة، ولم تشأ إفلاتها، وجرّتها دائرة الاحتضان إلى الأعماق منتشية... لكن، اختلطت المشاعر حين لَبِسَها الوجوم بُعيدَ فتح عينيها، ورؤية الماء يكاد يغمرها... لفّعها الخوف لحظات، فاستحضرت شريط رغباتها وطلباتها، وحرصها على حياة هانئة!... ترى ماذا تفعل، والموجة تحاول إبقاءها ضيفة في ديارها، وتهدّد أمنها وكيانها؟!...

التفتت نحو الشّاطئ، تراءى لها شيء ما...ركّزت النّظر، وإذ بطيف العجوز يسير ببطء، ويتّجه صوبها مادّا عصاه... مرّ الوقت عصيبا، وهي تمدّ يدها لتتشبّث بعصاه... دنا منها مخاطبا إيّاها برويّة:

" لا تدعي سكرة الفرح تدخلك في ديمومة الغيبوبة، وتبعدك عن صحوة الكينونة!".

ألقى بجملته وأكمل المسير.

فكّ الخوف قِماطَهُ، فهزّت رأسها، ونفضت عنها خمر الموجة، وتذكّرت أنّها هنا لتتعلّم وَ... استردّت أنفاسها، استجمعت قواها، وانطلقت بروحها المفعمة بفرح الصّحوِ، نحو شاطئ الحكمة.

وَغشينِي النُّعَاس

بقلم: د. نجلاء الطّمان

كلماتٌ مهتزّة تتراصُّ على زجاجٍ يفصلُ بيننا، تُفرقها مسافاتٌ من صمتٍ يطولُ بلا سببٍ واضح..

أعقدُ مساحاتِ التّعجب بين حاجبيّ، أسأله:

- ما بالكَ الليلة على غيرِ عادتكَ؟

صمتٌ يطول، يُوتّرِني، تَختمُه كلماتٌ تظهرُ فجأة كأنما أنبتَها العدمُ.

تُسكتني الدّهشةُ قليلًا، أحارُ، غريبةٌ الحروف، وبعيدةٌ المترادفات، متخاصمةٌ في عقلي، يندلقُ الذّهولُ.

جزيئاتُ الزجاجِ تتراقصُ .. عجبًا.. لم أعرف أبدًا أنّ الزجاجَ يُمكن أنْ يسيل.. يتقاطر، تحاورِني الفأرةُ.. بعد صراعٍ مضنٍ أمسكُ بها، أخُطُ بأنامل مخدّرة كلماتٍ مذبوحة.. تُزهَقُ روحُها قبلَ أن تصل ...

يُجيبه الصّمت، يطول.. يطول.. يطول

- اسمعي ..

تضيعُ كلماتُه، وتضيعُ الحجرة، لا شيء مألوف الليلة. بقايا من

obeikandl.com

ضوءٍ أحمر ترقصُ بالقربِ من زرِّ الإغلاق، تَضحكُ تُغريني بِصفعِها، أمدُّ يدًا مشلولة .. أُخرسُها.. أُغلقُ الجهازَ بالخطأ، وأُغلقُ أذنيَّ بالخطأ، وأغلق عينيَّ بالخطأ، أعصرُهما.. و.. تنفتّحُ أبوابُ الجحيم.. أحاولُ الهروب، يُجهضني المقعدُ. أتشبثُ برفوفِ مكتبةٍ تتصدّعُ تحتَ وطأةِ أصابعي الواهنة، يُعانقني الانهيارُ.. أنهارُ وتنفرطُ فوقي حبّاتٌ من كتبِ العمر تعدو خلفَ بعضها: "البدايةُ والنهاية".. " الفاروقُ عمر".. "فقهُ السّنّة ".... "عُطيل" .. "زادُ الميعاد".. " صحيحُ مسلم.. "الرّحيق المختوم".. و.. و ..

أضحكُ، أقهقهُ، أنتحبُ.. أحادثُ العدم... كنتَ منّي!.. كنتَ دمي! كيف يذبحني دمي ؟ كيف؟ كيف؟

يتشبّثُ بي الانكسارُ، أحشرجُ: يَاربّ..

أحاولُ الوقوفَ.. مُحال.. تتلقاني الأرضُ ثانيةً، أضربُ فوقَ عنقِ الصّدمة، وتضربُ مني الرّعشةُ كلَّ بَنَان.. أنظرُ بابَ غرفةِ النّوم... مَا أقصاه!

تحشرُني الحسرةُ في زُمرتها الخائبة، أُساقُ إلى الموتِ ناظرةً بعينيَّ نهايةَ المصير... نهاية غباءِ الثّقة. تخذلُني رُكبتاي، تئنُّ.. أزحفُ بِحملي، مردفة فوق ظهري أمواجٌ من ظلمي لنفسي، من فتنةٍ من

obeikandi.com

خيباتِ الثقة بخائنٍ يتقوّلُ بِفُتاتِ صدقٍ لمْ يَكن يومًا سوى مكاء وتصدية لشديدِ كذِبه.. لِمَ .. لِمَ؟؟ لِمَ؟؟ أتأوّهُ...

أنظرُ بابَ الغرفة، أزحفُ، قطراتٌ من مِلح الخديعة يُريكَها الذهولُ لعينيَّ قوافلَ من سنابكٍ تكتسحني. تُذهب ريحي، وتنْكُصُ بقايا احتمالاتِي على أعقابِها، وتُشرِّد الخيانة بعقيمِ زحفِي. يركُمني الغدرُ بعضِي فوق بعضِي، يُبعثرني. أتشتّتُ.. بعضٌ فوق عُدوةٍ دُنيا من اليأس، وآخر فوق عُدوةٍ قصوى من النِّزف.. يتجرجرُ الجَمعان، يلتقيانِ على فِراش الهزيمة. أرتمِي في حُضن وِسادة مأهولة بالانتظار، أتقوقعُ.. أبكي..

أبكي..أبكي...

أستجدِي من الله بصيصَ نجاة.. وبعدَ دهورٍ من العذاب أتتْني أَمنةٌ مِنه ورحمة...

أضواء في ليل جنين

بقلم: أحمد عيسى

نفدت رصاصات الرّجال.

كان لعبارته دويّ القنبلة في الوجوه الصّارمة المتحفّزة...

كصاعقة هبطت على الرّؤوس، فتجهمت واستحال لونها أحمر كلون الدّم الذي يلوّث الموجودات ... ولأنّ الظلام كان يغطّي كلّ شيء من حولهم، فلم يكن بالإمكان رؤية القشعريرة التي زحفت فوق جلودهم، أو الذّهول الذي سيطر على حواسّهم، أو الألم الذي تبدّى في وجوههم..

تنحنح أحد الرجال قاطعاً الصّمت المطبق على المكان ، وقال :

- بقيت معي رصاصتان.

وقال آخر :

- أنا تبقّت معي ثلاث رصاصات..

وقال القائد :

obeikandi.com

- وأنا رصاصة واحدة

أمّا باقي الرّجال فقد صمتوا ووضعوا سلاحهم جانباً..

دار (أبو الهيثم) بنظره في وجوه الرّجال وقال :

ثقتي بالله تخبرني أننا منتصرون..

قال أحدهم في تردّد :

-لقد نفد الطّعام.

– اعتدنا طعم العلقم، وأحببنا مذاق الزّعتر، واستسغنا طعم مياه الأمطار. يمكننا أن نصمد أكثر.

قال آخر :

نفدت رصاصاتنا.

قال أبو الهيثم:

لكنّ عزيمتنا لم تنفد بعد، وإيماننا كذلك، وثقتنا بالله لن تنفد أبداً... ليس المهمّ أن نخرجهم ، فيكفي أن نعيقهم قليلاً.. أن نخيفهم فلا ينالوا من المخيّم إلّا فوق جثثنا.

obeikandl.com

أخبركم يا رجال أننا بإذن الله منتصرون.

وكان لعبارته وقع السّحر على نفوسهم .. فقد دبّت الحياة في الأجساد المنهكة..

واستحال اليأس أملاً ..فاعتدل الرّجال، لململموا أسماهم وسلاحهم، وانطلقوا نحو الرّصاص الذي يزأر في الخارج.

(٢)

عند أطراف المخيّم كانت الدبابات في كل مكان تحيط البيوت وتطوقها، وتوجّه مدافعها نحو المنازل التي انهارت، وفوق بقاياها تزحف جرافاتهم..

صرخات النّساء والأطفال تمزّق سكون اللّيل...

أطفال فقدوا آباءهم في خضم المعركة ... نساء وجدن أنفسهن دون مأوى أو لباسٍ يقيهن برودة الشتاء.

وبين الأطفال الملتاعين مضى يشقّ طريقه (هيثم)..

عيناه الصّغيرتان تدوران في أرجاء المكان .. يعبر فوق مظاريف الرّصاص الفارغة فتؤلمه قدماه الحافيتان، لكنّه لا يتأوّه ... عيناه

obeikandi.com

تعلّقتا بامرأة جلست على ناصية الشّارع ...فاندفع يجري ...يعبر المسافة بينهما ركضاً يهتف من أعماقه :

أمّي....

لكنّ المرأة ترفع رأسها الذي لوّثته الدّماء، فيقف (هيثم) مطرقا رأسه ويبتعد...

ذهبت أمّك يا (هيثم) .. ذهبت ولن تعود..

انهارَ فوقها المنزل إثر قصفه.. والموتى لا يعودون يا هيثم.. الطّيبون منهم للجنّات يذهبون..

تذكّر كلمات والده، فعصف القهر بكيانه .. والغضب بعروقه..

لكنّه عرف أين يذهب، فانطلق يسابق ظلّه يعدو نحو مصير مجهول..

(٣)

في مكمنهم، ربض الرجال ينتظرون .. خلف البيوت المنهارة انتشروا، تسلّحوا بالأسلحة البيضاء وبالهراوات، وبما تبقّى من رصاصاتٍ أخيرة.

مال أحد الرّجال على (أبو الهيثم) وقال :

اقتربوا كثيراً، فبعد دقائق قليلة ستدخل الحارة وحداتهم الخاصّة .. فلا تستطيع الدّبابات التّوغّل في هذا الحطام..

وأشار بيده على البيوت المهدّمة، التي سدّت الطريق إلى الحارة..

قال (أبو الهيثم) في ألم:

هذه آخر الحصون المتبقيّة.. يجب أن نوقفهم وإلّا خسرنا كلّ شيء.

قال الرجل :

أنت قلتها وعلمتنا إيّاها أبا الهيثم .. سننتصر بإذن الله.

قال (أبو الهيثم) :

فقط أطلب منكم أن تتركوا لي قائدهم، سأفرغ رصاصتي الأخيرة في رأسه.

قال الرجل :

لك هذا أبا الهيثم.

أطلق أحد الرّجال صيحة مميزة فصمتوا جميعاً .. وربضوا يراقبون القوّة الخاصّة التي أخذت تنتشر في المكان، وجنودها يتلفتون حولهم ، ويرتجفون.

همس (أبو الهيثم):

رصاصتي الأولى ستكون إشارة البدء.

صوّب بندقيته القديمة نحو الجنود، وركّز فوّهتها نحو رأس قائد الوحدة، وداعبت أصابعه الزّناد، لكنّ صرخة من أحد الجنود أوقفته، إذ استدار الجنود نحو الجهة المقابلة، وصوّبوا أسلحتهم نحو طفلٍ صغيرٍ ظهر من بين بقايا منزل مقابل.

كان الطفل يقترب ببطء، وذراعاه ترتفعان فوق رأسه .. والجنود تتوتّر أيديهم فوق أسلحتهم.

صرخ الجنود في الطّفل فصاح فزعا:

-أنا ...أنا أعرف معلومات عن قائد المقاومة.

تمتم أحد الجنود: -أبو الهيثم

obeikandi.com

سرت همهمته بين الجنود، وانتشر اسم أبو الهيثم حتى وصل إلى القائد الذي صاح في الطّفل:

هل تعرف مكان (أبو الهيثم) ؟

أومأ الطّفل برأسه إيجابا أن نعم...

فقال القائد :

-اقترب يا فتى.

اقترب الطفل حتىّ أصبح أمامه...

فقال القائد:

-لماذا تبلّغ عن مكانه.

-حتى تمنحوني بعض الطّعام.. لم أعرف طعم الأكل منذ ثلاثة أيام وقد نفد الطّعام والمؤن.

قال القائد :

-أحسنت يا فتى! ماذا تعرف عن (أبو الهيثم)؟

قال الفتى، وقد أطلّت الجنّة من عينيه:

obeikandi.com

إنّه أبي.!

وبسرعة البرق هبطت يده لتضغط زرّاً في حزامه ... فانقضّ الانفجار عليهم ليضيء عتمة اللّيل البهيم.

ظهر الرّجال من مكامنهم، وصاح أحدهم بصوتٍ كالرّعد :

سبقك ولدك يا أبا الهيثم.

رفع أبو الهيثم سلاحه عالياً .. غير آبه بالطّائرات التي تحلّق فوقه؛ استعداداً لقصفهم.. ألقى نظرة أخيرة على أشلاء ولده التي اختلطت بأشلاء المحتلّين...

وصرخ بكلّ مشاعره المعتملة في صدره :

انتصرنا يا رجال.

وظلّ المخيّم يردد صيحته حتّى الآن ...

obeikandl.com

قبضة من حبات الزّيتون

بقلم: وفاء شوكت خضر

جلست القرفصاء تلتقط حبّات الزيتون المبتلة برذاذ المطر المتساقط، تنفض عنها البلل وحبّات التّراب العالقة بها .. تضعها في حجر ثوبها المطرّز باللّون الأخضر والأحمر ، الثّوب الذي تميّزت به بلدتها بطريقة التّطريز والحياكة، ذلك الثّوب الفلسطينيّ الذي عرف بتميّزه بدقّة فنّه بالتّطريز، وأشكاله الجميلة، وألوانه التي تتعدّد؛ لتشكّل لوحات فنية. وقد لفّت رأسها بشال أبيض، التصق من البلل بالرّأس والمنكبين؛ ليصبح جزءاً من تكوينها وتشكيل ملامحها.

رغم الهرم، ورغم الإعياء والمرض، إلّا أنها أبت إلّا أن تشارك الموسم احتفاليّة جمع هذه الثّمار، والتي تكون عادة في أواخر شهر تشرين الأوّل، وبداية تشرين الثاني، بعد أوّل أو ثاني تساقط للمطر. كانت تتفحّص الحبات الخضراء بعناية، تمسك من كلّ شجرة حبّة، تعصرها لكي تتفحّص كميّة الزّيت، ونضج تلك الثّمار، وهي لا زالت تردّد تلك الكلمات .

اعتلى العامل الذي يقوم بقطف الثّمار الشّجرة، وبحركة سريعة

obeikandi.com

أتقنتها يده كان يسقط الثّمار إلى الأرض المبتلّة، وهي تعمل على جمعها لتقوم بعد ذلك بعمليّة الفرز .

وهي تلقي ببصرها للشّارع الممتدّ من خلف أشجار الزّيتون، حيث كان امتداد أرضها قبل أن تأتي الوحوش المجنزرة؛ لتقتلع أشجار الزّيتون من أرضها، تلك الأرض التي اغتصبت عنوة، واقتلعت منها أشجار الزّيتون.. الأرض التي كانت مهرها، وشهدت صباها وشبابها، شهدت قصّة حبّها وزواجها، وكيف كانت كلّما أنجبت ولدا تزرع له شجرة في تلك الأرض تسميها باسمه، شجرة فلان .. تنهّدت وهي تزفر آهة حرّى، تذكّرت ذلك الزّوج الذي اقتلع مع ما اقتلع من أشجار الزيتون، ليقضي وهو يدافع عنها برصاص غدر .

كانت تغني:

والله لزرعك بالدّار .. يا عود الزّيتون الأخضر

وأروي هالأرض بدمّي .. لتنوّر فيها وتكبر

ودموعها تختلط بحبّات المطر، لتسقط على ما تبقّى من الأرض، فتزيد ارتواءها وما تبقّى من شجرات الزّيتون. لم تكن تبالي بالبلل ولا غوص قدميها بطين الأرض. كانت تماما مثل تلك الشّجرات التي صمدت أمام قوّة الاحتلال، ثابتة، تمتدّ جذورها إلى قاع

الأرض متشبّثة بها، تشرئبّ بأغصانها دائمة الخضرة إلى عنان السّماء؛ لتمنح العطاء.

استيقظت من أحلامها فزعة لا تدري أين هي.. فتحت عينيها المثقلتين بالحمرة على سقف غريب حجب عنها زخات المطر، أنواره غريبة، وأصوات تنبعث لا تفهم لغتها، وأسلاك وأنابيب تمدّدت لتقيّد جسدها المبتلّ في فراش ليس فراشها. حاولت أن تتحرّك فلم تستطع. كانت تحكم قبضتها على شيء ما.. فتحت يدها لتنظر فيها، لا زالت قبضة من حبّات الزّيتون بيدها، قد غسلتها قطرات المطر .

والله لزرعك بالدّار .. يا عود الزّيتون الأخضر

وأروي هالأرض بدمي .. لتنوّر فيها وتكبر.

obeikandi.com

ولكنّه حيّ

بقلم: حسام القاضي

عندما فاجأتها الآلام، وجدت يمناها تقبض عليه بشدّة لا إراديّا .. وحيدة هي في الخلاء تعتصرها آلام رهيبةن أفلت نحيبها رغما عنها وسط دموعها المنهمرة. عندما تبيّنت ما تقبض عليه يداها ابتسمت بمرارة، شاخصة ببصرها إلى السّماء.

ازداد تشبّثها به، وازدادت دموعها غزارة، عندما تذكّرت قوله الشّريف: "في آخر هذا الزمان القابض على دينه كالقابض على جمرة من نار". هزّت رأسها محاولة طرد ما يجول بخاطرها دون جدوى.. وهل يمكنها بهزّة رأس أن تنسى ؟! لقد ذبحوا أباها أمام عينيها، بعد أن ماتت أمّها وأخوها تحت الأنقاض.

لم تكن وحدها حين اقتادوها، كن آلافا مؤلّفة، وضعوهن في معسكر لذبحهنّ .. أطلقوا عليهنّ وحوشهم المدرّبة؛ ليذبحوهنّ بطريقتهم الخاصّة، كلّ يوم، وأكثر من مرّة.

obeikandl.com

عندما همّوا بذبحها أوّل مرّة، قاومتهم بشراسة، لكنّهم كانوا الأقوى .. لم تعد تدري بشيء .. وجدت نفسها تصرخ بأعلى صوتها: "وا معتصماه .. وا معتصماه " ولم يأتِ المعتصم ولا جنوده.. ومعهم الحقّ أيهّم تعني ؟ فقد كثر معتصمو هذا الزّمان، معتصمو القصور والأموال والمنتجعات .. لم تكن تدري أنّ لكلّ زمان معتصميه.

ذبحوها، وذبحوها، وذبحوها، وشمّر المعتصمون عن سواعدهم ليسألوا هل الذّبح شرعيّ؟! فيباركونه أم غير شرعيّ فيشجبونه ويستنكرونه! .. ثم عادوا إلى ولائمهم وعوالمهم المثيرة، فقد جاهدوا الجهاد الأكبر.!

زادت وطأة آلامها .. تحرّك الجنين بشدّة في أحشائها .. ضربت الأرض بقبضتها ضربات متلاحقة وكأنها توجهها إلى جزّاريها المتوحّشين الذين استمروا في ذبحها .. لم يتركوها إلّا في شهرها الثّامن؛ كي لا تستطيع إجهاضا لثمرة شرّهم.

في شهورهنّ الأولى، لم يجدن من يفتيهن في أمرهنّ .. حلال إجهاضهنّ أم حرام ؟ كان علماء الدّين مشغولين في شيء أهمّ .. نقاب المرأة فرض أم لا ؟ لم يفتهنّ أحدهم في أمرهنّ هذا**!!**

ذاك القادم ما كنهه ؟ من هو .. ابن من هو في هؤلاء ؟ ابن لمئة رجل .. مئتين ؟ من فيهن تستطيع إرضاعه .. بل النّظر إليه .. أم مسلمة لابن من ؟ ابن الكفر والإلحاد .. هل تنجب المسلمة من الكفرة ؟ هل ينجب الإيمان من الضّلال ؟ هل ينجب النّور من الظلام ؟ وا معتصماه .. وما من مجيب.

ازدادت قبضتها على المصحف مع تصاعد آلام المخاض .. أصابها دوار .. غامت الدّنيا في عينيها، اختلطت الأمور في سمعها وبصرها، باتت تسمع وترى أشياء عجيبة .. فوارس في مواكب متتالية يرفعون رايات الحقّ، من خلفهنّ نساء صالحات يلهثن من أجل الجهاد .. غامت الرؤيا في عينيها لحظات ثمّ رأت رجالا يقبلن الأيادي، وراء نساء كاسيات عاريات .. فزعت واستعاذت بالله .. عادت ترى الفوارس مرة أخرى، وتسمع صيحاتهم

وتكبيراتهم .. ظهر البشر على وجهها وابتسمت .. تحرّكت سبابتها اليمنى .. تمتمت شفتاها بالشّهادة، وغابت .. غابت بعد أن خلّفته تحتها .. قبيح كريه بشع .. ولكنّه حيّ .

(يناير ١٩٩٣ في خضم أحداث البوسنة والهرسك)

obeikandl.com

الدّائرة

بقلم: د.مازن لبابيدي

حدَّقَتْ إلى اللا شَيءَ بِعَينينِ ذاهِلَتينِ، يُصارِعُ الدَّمعُ كِبْرياءَهُما؛ لِيَنسَكِبَ كِحِمَمِ البراكينِ عَلى سَفْحِ جَبينِها، قَبْل أَنْ يَغيبَ في مِخَدَّتِها التي تَحْمِلُ رَأسَها المثْقَلَ بالأفكارِ، والذِّكرياتِ التي تَزاحَمَتْ على أَبْوابِ النَّفْسِ والرُّوحِ، ولَمْ يَكُنْ كُلُّ ذَلك الصَّبيبِ لِيَفِيَ بِمَطْلَبِ قَلْبِها المحْتَقِنِ جَمْرا، وصَدْرِها المحْتَبِسِ قَهْرا.. فكانت تُفْلِتُ كُلَّ حِينٍ مِنْ حَنْجَرَتِها المبْحُوحَةِ صَرخَةً تَكادُ تُمَزِّقُ أَوْتارَها : لا .. لماذا ؟ .. آهخ .. آه .

تَوالَتْ مَرّاتٍ عَديدَةً أَمامَها مَشاهِدُ الاسْتِبْدادِ والقَهْرِ، اللَّذَيْنِ عاشَتْهُما وعانَتْهُما في حَياتِها مُنْذُ فارَقَتْ مُبَكِّرَةً طُفُولَتَها، التي لا تَذْكُرُ مِنْها إلّا احْتِضَانَ أُمٍّ باكِيَةٍ شاكِيَةٍ، وزَجْرَ أَبٍ عَنيدٍ شَديدٍ؛ لِتَذْهَبَ بَعْدَها إلى قَلْعَةٍ مُظْلِمَةٍ مُخيفَةٍ عالِيَةِ الجُدرانِ، ضَيِّقَةِ

النَّوافذِ، قَبَعَتْ في رُكْنٍ مِنْها دَهْرًا تُلَبِّي حاجاتِ سَيِّدِها الذي قَلَّما رَأَتْ منه ابتِسامَةَ رِضا، أو انتَظَرَتْ منه نَظْرَةَ عِرْفانٍ أو حَنانٍ.

لَكِنَّ اللهَ أَذِنَ أَنْ يُشْرِقَ في حَياتِها التَّعِسَةِ بَدْرٌ أَضاءَ لَيْلَها، وآنَسَ وَحْشَتَها، وزَرَعَ البَسمةَ والأَملَ في وُجودِها البَغيضِ .

كان لِرُوحِها بَلسما، ولِقَلْبِها بَهْجةً، ولنَفْسِها رَاحةً، ولجُروحِها بُرْءًا.

فاضَ ثَدْياها مع اللَّبَنِ عاطِفَةً مُتدَفِّقةً زادَتْهُ دُسُومَةً وغِذاءً، ونَضَحَتْ عَيْناها مع الحُبِّ أَمَلا ورَجاءً سَكَبَتْها في مُقْلَتَيْهِ، وجعَلَتْ مِنْ تَرْنيماتِها وهَدْهَداتِها سِكينَةً وطُمَأنينَةً تناغَمَتْ في أُذُنَيه .

بَدَأَت شَيئا فشَيئا تَتصالحُ مع الحَياةِ وتَنْسى إساءاتِها، وتَغْفِرُ لها أَفْعالَها .. ولِمَ لا ؟ وَقَدْ أصبَحَتْ الحياةُ لها هي، أكثَرَ مِن غَيْرِها، والسَّعْدُ واتاها، والفَرْحُ صاحَبَها في يَومِها وليلِها.

obeikandi.com

أَصْبَحَ فَوَّازٌ أَهَمَّ شَيْءٍ، بَلْ كُلَّ شيءِ في حَياتِها، طَعامُهُ، نَظافَتُه، فَرْحُهُ، بُكاؤُه، لَعِبُه، مَدْرَستُه، رِضاهُ، غَضَبُه .. صارَ هُو المِحْوَرَ والأساسَ و .. كُلَّ شيء . ورُغْمَ أنّها أنجبَتْ بَعْدَه بَنِينَ وبَناتٍ؛ إلّا أَنَّ أيًّا مِنْهُم لم يَحْظَ بِمِثْلِ نَصيبِهِ مِنْها، وحِظْوَتِهِ عِنْدَها، حتى أبوهُ لَمْ يَعُدْ لَهُ في نَفْسِها ما كان مِنَ الهَيْبَةِ، فَلَمْ تَعُدْ تَأْبَهُ كثيرا لِغَضَبِهِ وشِدَّتِهِ وانْقَلَبَ ضَعْفُها أَمامَهُ قُوَّةً وتَحَدِّيا، وخُضُوعُها رَدًّا وتَمَرُّدًا أحْيانًا .. إنَّها الآنَ أُمُّ فَوَّاز !

نَشأَ فوازُ فَتِيًّا أمامَ عَينَيها، اللَّتَين كانتا تُشِعّانِ فَخْرا كُلَّما وَقَعَتا عَليه أو تَكَلَّمَتْ عَنْهُ ،وما أكثرَ ما فَعَلَتْ! كان نَشِيطا مُفْعَمًا بالحياةِ والمرَحِ، قَويَّ الجِسْمِ ذَكِيًّا، حَسَنَ الهَيئةِ نَظيفًا، أنِيقَ المِلْبَسِ، بادِيًا عَلَيهِ حُسْنُ الرِّعايةِ والدَّلالِ، وأَثَرُ النِّعْمَةِ والثَّراءِ . إلّا أنَّهُ مَعَ ذلكَ كان صَعْبَ المِراسِ، عَنيدًا أنانيًّا مَغْرورًا، لكنَّ ذلك لم يَكُنْ لِيُقلِقَها، وهُو يتوافَقُ مَعَ مُرادِها لَهُ في التَميُّزِ والتَّصدُّرِ على غَيرِهِ.

رَأَتْ فيهِ امتِدادًا عُضْوِيًّا وزَمَنِيًّا لِذاتِها، مَشْروعَ حَياتِها الأكبرَ الّذي سَتُعَوِّضُ بِهِ ما فاتَها، وتَنْتَصِرُ لِنَفْسِها مِنْ خِلالِهِ. فكان كُلُّ

ما يَبْتَغيهِ مُباحًا، وكُلُّ ما يَكْرَهُهُ مُحَرَّما . لَمْ يَكُن أحدٌ يجرُؤُ على إِزعاجِ شِبْلِ اللَّبُؤَةِ الشَّرِسَةِ، وَقَدْ أَدْرَكَ الطِّفْلُ بِفِطْرَتِهِ وذَكائِهِ مَوْقِعَهُ مِنْ أُمِّهِ، وحِمايَتَها الَّتي يَتَمَتَّعُ بها فاستثمرَهُ أبْلَغَ استثمارٍ في الدّارِ والجِّوارِ، وحتى في المَدْرَسةِ التي كان يَهابُ مُدَرِّسُوها مِنَ السَّيِّدَةِ السَّليطَةِ اللِّسانِ .. أُمِّ فَوَّاز.

في شَبابِهِ المتَفَجِّرِ الصَّاخِبِ، أصْبحَ فَوَّازٌ قُرَّةَ عَينِ والِدَتِهِ، وأَمَلَها المتَحَقِّقِ مُتَمَثِّلا أمامَها، مَوضوعَ أحادِيثِها مع الناس، مَثارَ فَخْرِها، ومَبْعَثَ فَرَحِها، ومَحَلَّ اعتزازِها، ومَوْطِنَ أمَلِها المتَجدِّد .

تَجَلَّتْ ذِرْوَةُ سُرورِها، وهِيَ تُقَدِّمُ الحَلوَى والشَّرابَ لِلمُهنِّئين لها ابتِهاجًا بِحُصولِهِ على الشَّهادَةِ الثَّانوِيَّةِ وتَفَوُّقِهِ فِيها ، نَجاحٌ آخَرَ لها لَمْ تَكُنْ تَحْلُمُ أَنْ تُحَقِّقَهُ هِيَ، تَراهُ اليومَ ناجِزًا في بِضْعَةٍ مِنْها .. وَلَدَها.

هَدَأَتْ قَليلًا مَشاعِرُها التي تَعْتَلِجُ في صَدْرِها، وهِيَ تَرى صُورَتَهُ الجميلةَ أمامَها بابتِسامَتِهِ السّاحِرَةِ، وحُلَّتِهِ الزَّاهِيةِ التي زَيَّنتْ شابًّا

يافِعًا يَطِيرُ فَوقَ الأرْضِ حَيَوِيَّةً ومرحًا، واخْتَلَسَتْ ابتِسامَةٌ راجِفَةٌ لَحْظَةً مِنْ زَمَنِ الاكْتِئابِ الّذِي غَلَّفَ قَلْبَها.

لَكِنَّ السَّعْدَ يَشُوبُهُ دائِمًا القَلقُ والخَوفُ، اللّذانِ كانا يُكَدِّرانِ صَفاءَها كُلَّما خَرَجَ ابنُها أو تأخَّرَ في العَوْدَةِ، وقد بَلَغَ الأمْرُ ذِرْوَتَهُ عِندما سَعَى وألَحَّ في الحُصُولِ عَلَى رُخْصَةِ قِيادَةِ السَّيَّارَةِ، والتي عَبَثًا حاوَلَتْ إقْناعَهُ بِتأجِيلِها.. ومَنْ يستطيعُ أَنْ يَرْفُضَ طَلَبًا لِفَوّاز ؟

مَعَ كَثْرَةِ خُروجِهِ وأصْحابِهُ، وتَكَرُّرِ تَأخُّرِهِ في العَوْدَةِ إلى الدَّارِ، أصْبَحَتْ أُمُّ فَوّازٍ تَعيشُ في جَحِيمٍ يَومِيٍّ حَقيقِيّ...

- بِرضَايَ عَلَيكَ يا وَلَدِي لا تَتَأخَّرْ عَنِ الدَّارِ مَرَّةً ثانِية ، أنْتَ تَعْلَمُ أنِّي لا أَقْدِرُ على النَّومِ قَبْل أن أطْمَئِنَّ عَلَيكَ ..

- يا أُمَّ فَوّاز .. أنَا لَمْ أعُدْ ذلك الطِّفلَ الصَّغيرَ المدَلَّلَ، الذي كان يَنامُ في حِضْنِكِ. لقد صِرْتُ رَجُلًا ولي حَيَاتي وأصْحابي. هَلْ تَرَيْنَ مِنَ اللّائِقِ لي أنْ أقُولَ لِأصْحابي عِندَ الثَّامِنةِ أنَّ عَلَيَّ أنْ

obeikandl.com

أذهبَ لِلنَّوم ؟! هَلْ تَقْبَلينَ لابْنِكِ أَنْ يُصْبِحَ أُضْحوكةً بَينَ النّاسِ ؟!

- يا حَبِيب أُمِّكَ، لَمْ أَقُلْ ذَلكَ. ولَكِنْ لَيْسَ كُلَّ يَوْمٍ ! ولَيْسَ إلى مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ!

- أرْجوكِ أُمِّي، هَذِهِ حَياتي فَدَعِيني أعيشُها كَما أُرِيدُ، ولا تَقْلقِي فَلَنْ تَأكُلَني الضَّبُعُ ..هههه.

- لَيسَتْ حَياتَكَ وَحْدَكَ فَقَطْ.. هِيَ حَياتِي أيضًا. أنْتَ ابْنِي، أغلَى ما أَمْلِكُ. ألَا يَهُمُّكَ قَلقِي عَلَيْكَ وخَوْفِي ؟!

- عُدْنَا لأُسْطُوانَةِ الخَوْفِ والقَلقْ ! قُلْتُ لَكِ .. أنا .. لَسْتُ صَغيرًا. لَمْ أَعُدْ كَذلِك، فَدَعِيني أذْهَبُ للنَّوْمِ.. أنا مُرْهَقٌ جِدّا!

- آه .. حَسَنًا يا حَبيبي .. نَومَ الهَناء. هَداكَ الله.

حِوارٌ عَقيمٌ تَكَرَّرَ عَشَراتِ المرَّاتِ، وكانَ يَزْدادُ حِدَّةً أحْيانا، حَتَّى اعْتادَتْ أُمُّ فَوَّازٍ الأمرَ، واسْتَسْلَمَتْ للتَّغَيُّرِ الذي لَمْ تَمْلِكْ أنْ تَمْنَعَهُ.

ارْتاحَتْ قَليلا لِفِكْرَةِ أَنَّ التَغَيُّرَ كان طَبيعِيًّا وحَتْمِيًّا، ورُبَّما لا دَاعِيَ لِأَنْ تَلُومَهُ أو تُؤنِّبَ نَفْسَها عَلَيْهِ !

- نَعَم هَذا طَبِيعِيٌّ. لا يُمْكِنُ إيقافُ الزَّمَنِ .. الكَبيرُ غَيرُ الصَّغيرِ .. ليسَ مِنَ اللاّئِقِ أَنْ أُعَامِلَهُ كَطِفْلٍ، وَهُوَ رَجُلٌ مُكْتَمِلُ الرُّجولَةِ .. أَلَمْ يكُن هذا أمَلُكِ يا أُمَّ فَوّاز ؟!

لكن الذِّكرياتِ لم تُمهِلْها، ولم تَترُكْ لِتلكَ الوَمْضَةِ المريحَةِ فُرصَةَ الانْفِرادِ بِعاطِفَةِ الأمِّ المتَسامِحَةِ الصَّفوحَةِ. فالتَّبَدُّلُ لم يَقِفْ عند ذلك الحدِّ، وما كان له أنْ يَقِفَ مع فوازٍ الذي لم يَعْرِفْ في حياتِهِ شَيئا اسمُهُ القُيودُ أو الحُدودُ، التي يُمْكِنُ أنْ تُعيقَهُ.

لقَدْ أصبحَ يغيبُ مُعظمَ النهارِ في الجامعة، ثُم يأتي لِيأكُلَ شَيئا، ويَستعدَّ للخُروجِ والسَّهرِ والمرحِ مع أصحابِهِ ليلًا. وبالطَّبعِ مُتَزوِّدًا بما يَزيدُ عن حاجَتهِ مِنَ المالِ الذي ما كانتْ لِتمنعَهُ عَنهُ بأيِّ حالٍ، ثُم مَصحوبا بالكثيرِ من الأدعِيةِ والرَّجاءِ والتَّوسُلِ أنْ لا يَتأخرَ في العَودةِ إلى الدارِ للدِّراسةِ، والرَّاحةِ والنَّومِ مُبكِّرا، وأن يَقودَ بِتَرَوٍّ وأن لا يَصْحَبَ أهْلَ الفِسْقِ والضَّلالِ.. وكان فوازٌ

يَستَديرُ مُنْصَرِفا، وعلى وَجْهِهِ عَلاماتُ الامْتِعاضِ التي أصْبَحَتْ مع الوقتِ تَظهَرُ لها بِوُضوحٍ، ويُرافِقُها التَّأفُّفُ مِنْ كَثرةِ تِلكَ التَّوصياتِ الطَّاعِنَةِ في رُجولَتِهِ، واسْتقلالِيَّةِ قَرارِهِ، وفَهْمِهِ لأُمورِ الحياةِ. وتُعَلِّلُ هِيَ نَفْسَها بِأنَّهُ ليس إلا طَيْشَ الشَّبابِ واستعجالَهُمْ، ونَزَقَهُم، وقِلَّةَ صَبْرِهِمْ.

حاوَلَتْ كَثيرا أنْ تستعيدَ بِدِقَّةٍ، اللَّحْظةَ الفاصِلَةَ التي مَالَ صَبْرُها عَلَيْهِ فِيها إلى النَّفادِ؛ عَسَى أنْ تَعْثُرَ بِالكَلْمَةِ أو الإيماءَةِ أو التَّصَرُّفِ الذي أخْرَجَ الأمرَ بينهما عَنِ السَّيْطرةِ؛ عَلَّها تَجِدُ ما تَغْفِرُ لَهُ بِهِ ما صَدَرَ عَنْهُ.

تَأَخُّرُه عن الدار كان يزدادُ باضطراد، وربما أَتَى مَعَ الفَجْرِ أو بَعْدَهُ، ورائِحَةُ السَّجائِرِ تَفوحُ مِنْهُ أكثرَ فأكثرَ. ولَمْ يُجَشِّمْ نَفْسَه يوما مَشَقَّةَ الاتِّصالِ بِها لِطَمْأنَتِها.

وذاتَ لَيْلَةٍ، كاد القَلَقُ أنْ يَقْتُلَها، وهِيَ تنتظرُهُ وتُسْرِعُ إلى النَّافِذَةِ كُلَّما سَمِعَتْ هَديرَ سَيّارةٍ مَارَّةٍ إلى أنْ غَلبها النَّومُ، فَلَمْ تَنتبهْ إلّا والشَّمسُ ارتَفَعَتْ قَيْدَ رُمْحٍ ..

لَمْ يَكُنْ فَوّازُ في غُرْفَتِهِ أو في الدَّارِ ..! إنَّهُ لَمْ يَرْجِعْ بَعْدُ . انتابَها رُعْبٌ شِديدٌ واستَوْلَتِ الوَساوِسُ عَلى رأسِها، وراحَتْ تَتَّصِلُ بِكُلِّ مَنْ تَعْرِفُ مِنْ أصحابِهِ، لَكِنَّ أغلبَهُمْ كانوا في دَوامِهِمُ الجَامِعِيِّ أو في أعمالِهِمْ، وبعضَهم لَمْ يَزَلْ نائِمًا، لكنّ أحدًا لم يَرَهُ تِلكَ اللَّيلةَ .

جُنَّ جُنونُ أُمِّ فوازٍ، وانطَلَقَتْ مِنْ فَورِها إلى الجامعةِ، حَيْثُ أكَّدَ لها مَنْ يَعْرِفُهُ أنَّ فَوازًا لَمْ يَحْضُرْ إلى الجامعةِ منذ أسبوعٍ أو أكثرَ!

كانَتِ الصَّدْمَةُ قاسِيَةً، وأُسْقِطَ في يَدِها وأَوْشَكَتْ على الانهِيارِ، وعادَتْ إلى الدَّارِ مُحْبَطَةً تُكَلِّمُ نَفْسَها ..

- تَكْذِبُ على أُمِّكَ يا فَوَّاز ؟ !

- أَهذه آخِرُ تَربِيَتي لَك ؟!

- أيْنَ تَذْهَبُ ؟! مَعَ مَنْ ؟!

- لماذا يا فواز ؟! لماذا يا ابن بَطْني لماذا ؟ !

يَومٌ طَويلٌ أَكَلَ مِنْ عُمُرها سَنَةً.. عاد في آخرهِ فواز، وكأنهُ لم يَغِبْ ساعةً عَن البَيتِ؛ لِيَجِدَ ولِأوَّلِ مَرَّةٍ في عُمْرِهِ أمًّا غاضِبَةً مُزَمْجِرةً تَصْرُخُ في وَجْهِهِ مُؤَنِّبَةً مُوبِّخة!!

كان ذلك مفاجأةً ثقيلةً لَمْ يَعْهَدْها. وبَدَلَ أنْ يَرْجِعَ إلى الحَقِّ ويَتَمَلَّكَهُ تَأنيبُ الضَّميرِ، غَلَبَتْ عَلَيْهِ العِزَّةُ بِالإِثْمِ، فاستدارَ إلى والدَتِهِ ثائِرًا جائِرًا قاطِبًا مُعَنِّفًا، يَهُزُّ في وجْهِها سَبَّابَتَهُ..

- إِسْمَعِي.. لَقَدْ سَئِمْتُ مِنْكِ ومِنْ تَدَخُّلِكِ في كُلِّ صَغيرَةٍ وكَبيرةٍ في حَيَاتي!

- قُلْتُ لَكِ أَلْفَ مَرَّةٍ ومَرَّة .. إنَّني لم أَعُدْ صَغيرًا!

- لَقَدْ أصْبَحْتُ رَجُلًا. هَلْ تَعْلَمينَ ما مَعْنَى رَجُل ؟ أنا رَجُلٌ وسأفْعَلُ ما أُريدُ، ولا أُريدُ مِنْكِ أنْ تُكَلِّميني بَعْدَ اليومِ في مِثل هذه الأمورِ.. أتَفْهمين ؟!

- أنْتِ فقط أُمِّي، ولسْتِ وَصِيَّةً على حَيَاتي وقَراري. هيّا جهِّزي لِيَ الطَّعامَ فَأنا أتَضَوَّرُ جُوعًا!

كانَتِ الكَلِماتُ تَقَعُ على قَلْبِها كالمطارِقِ تَسْحَقُهُ سَحْقًا ز أُلْجِمَ مَنْطِقُها، تَحَطَّمَت في داخِلِها أشياءُ كثيرةٌ، جَحَظَتْ عَيْناها وتَجَمَّدَ وَجْهُها، وَهِيَ تَنْظُرُ إِلَيْهِ..

- نَعَمْ .. لَقَدْ نَما العُودُ إِذَنْ، واسْتَوَى واشْتَدَّ وصَلُب .

- كُلُّ ما في الأمرِ، أَنَّ الأَمْرَ قَدْ بَلَغَ تَمامَهُ..

- لقد صَنَعْتِ يا أُمَّ فَوَّازٍ .. مُسْتَبِدًّا جَدِيدًا.

obeikandl.com

رحلة حياة

بقلم: بابية آمال

كانت تجلس جوار النافذة، وعيناها تتنقلان سريعًا بكلّ شيء يمرّ به القطار.. بدت كما لو كانت تبحث عن شيء، ولكن ما هو على وجه التّحديد؟ هل هي الأشجار القريبة والبعيدة؟ أم منظر الشّواطئ العارضة زرقتها على جوانب المدن؟ أم صفوف المنازل المتراصّة والمختلفة المستوى؟ كلّ هذا كانت تراه، وتمرّ عليه بعينيها المتطلعتين، ثمّ لا تلبث أن تعود إلى الصّحيفة الموضوعة على ركبتيها، تقرأ فيها حينا ، وتعود إلى النافذة حينا آخر؛ لتكمل رحلتها مع الحياة من وراء زجاجها ..

بادرتها بالحديث رغبة في كسر الصّمت: "للطّبيعة دائما ميزة المناظر الجميلة"..

أجابتني في هدوء: "نعم" ثم أشارت إلى عربة نقل كبيرة تحمل حبوب القمح.. "من هنا يأتي غذاؤنا.. هم يكدحون، ونحن نأكل ثمار كدحهم دون الإحساس بهم! ما أجمل صور الكفاح من أجل العيش..! ولعلّ أروعها إطلاقا، تلك التي لا نراها إلا صدفة! كلّ شيء يبدو جميلا من حولي اليوم.. كلّ شيء يشدّني

obeikandi.com

ويثير اهتمامي."!..

توقفت عن الحديث لحظات معدودةُ حيث سرحت بفكرها بعيدا، وعادت لتلتفت إليّ قائلة: "هل يبدو كلامي هذا غريبا عليك؟ .."

قلت: "لا، أبدا، كلّ ما في الأمر أنّني شعرت أنّك فتاة مرهفة الحسّ .."

بدأ القطار يبطّئ من سرعته، ووقفت الفتاة تعدّ نفسها للنزول في المحطّة التّالية.. حملت حقيبتها ووضعتها عند قدميها، ثمّ اتّجهت إليّ بالحديث قائلة: "هنا بيتنا في هذه المدينة الصّغيرة، حيث أعيش مع أسرتي.. سوف يسعدون لعودتي بعد غيبة أسبوع كامل اضطررت فيه للذّهاب بمساعدة خالتي؛ كي أعرض نفسي على اختصاصي.. فأنا أعاني من آلام حادّة في معدتي. لقد عرفت سبب العلّة.. إنّه لم يحاول إخفاء حقيقة الأمر عنّي.. أنا مصابة بالسّرطان، ولن أعيش لأكثر من ستّة أشهر"..

أجبتها حزينة على مرضها: " هو الأجل أخيّتي.. ويأتي بعلّة أو بدونها.. حيث أمده لا يزيد ساعة أو ينقصها.. وكلّ بأمر الله.. وما أدرى الطّبيب.. فقد يمنّ الله عليك بالشّفاء ما بين ليلة وضحاها.. شفاك الله من عنده."

obeikandi.com

عادت للتّطلع إلى وجه الطبيعة بهدوء هذه المرّة وهي تقول: " بدأت أحسّ بالجمال من حولي منذ تلك اللّحظة التي عرفت فيها أنّ حياتي على الأرض قد اقتربت من نهايتها.. وكأنّي صحوت فجأة من نوم عميق دام لأكثر من ثمانية وثلاثين عاما.. هي كلّ عمري على الأرض! ما أقسى الحياة وما أجملها."!

obeikandl.com

دعيني أحلم قليلا

بقلم: حسنيّة تدركيت

لحظات فقط، لقد تركته هنا.. لا لا هناك ..انتظري سأوريك إيّاه كي تعذريني إذا ما قلت لك أنه فاق الروعة بكثير

لا تنظري إليّ هكذا باستغراب، اقتربي وتأمّلي الكلمات والحروف المتناسقة ذات اللّحن الشّجيّ العذب سترحلين معها بعيدا..

مابك يا أمل ألم يعجبك :

-أمل تتفحّص الكتيّب قائلة : جميل جدّا، ولكنّني أخشى عليك من هذه اللّهفة الزّائدة..

-ممّ تخشين عليّ ؟؟ بربّك لا تربكيني بنظراتك المتفحّصة الباحثة عن شيء ما...

أخاف عليك أن تتعلّقي به أكثر، ثمّ تتحطمين على جدار الواقع المرّ مسافات طويلة تفصلكما، وظروف عديدة اجتمعت واتفقت أن لا تقربكما لبعض، فعلامَ تعذّبين نفسك، وتلقين بها إلى التّهلكة!!

ريم بصوت خافت تردّد : التّهلكة ! أترين هذه المشاعر الجميلة الرّقيقة تهلكة ؟؟ بالله عليك لا تقولي أشياء تكدر عليّ صفو هذه اللّحظات التي انتظرتها طويلا. الجوّ جميل جدّا، والقمر ينير

obeikandi.com

أرجاء الدّنيا، ورسائل موشّاة بالحنان والرّقة، والعذوبة مزيّنة بالصّدق والنّقاء منثورة هنا وهناك لا تبغي شيئا... هي تجوس خلال الكون تبعث الأمل في النّفوس، وتنثر السّحر والرّوعة مع نور القمر البعيد.

أمل تقترب منها أكثر تبتسم قائلة :

أعلم أنّ نصائحي لن تغيّر شيئا، ولكن أرجوك لا تستسلمي إلى هذه الأجواء.. ربّما عادت عليك بالحزن والهمّ والغمّ، إذا ما كبرت أشواقك وغلبتك ثمّ التفتّ فلم تجديه معك، وتذكّرت أنّه هناك مع أهله وذويه، سعيد مبتهج يتأمّل ملامح أخرى حبيبة إليه، ومنه قريبة.

ريم تهمس بحبّ: أسعده ربّي أينما كان.. تصمت للحظات ثمّ تستطرد قائلة : لا أنكر أبدا أنّني أحاول أن أنسى هذا الواقع بمزيد من الأحلام، حتّى إنّني لا أسمح لعقلي أن يستعرض عليّ معلوماته الشّخصيّة. أريد أن أرتاح لطالما تألمت وحزنت وسهرت وتمنّيت، ولم أشعر يوما أنّني أسعد من الآن.. أخبرتني مرّة صديقة وفيّة أنّ الحبّ شعور جميل إذا ما قيّدناه بعقل، ووجّهناه إلى الخير، ثمّ قالت إنّه ليس كلّ من أحبّ ارتبط بمن يحبّ، ونصحتني قائلة : لابأس أبدا أن تغمري روحك بهذه المشاعر الجميلة، ولكن إن لم يتحقّق ما تريدينه تحمّلي بالصّبر، واغرسي الأمل شجرة سامقة استظلي بظلّها من لفح الهجير، إذا ما اشتدّ

obeikandl.com

شوقك وحنينك..

- ها أنا ذي أعيش حياتي كما قدّرها وأرادها الله لي، وأحاول أن أمنح نفسي بعضا من حقّها في أن تكون سعيدة.

تربّت أمل على كتفها بحنان قائلة : ما أجمل روحك! وما أطيب قلبك! ولعلك تدركين القصد من كلامي.. أخاف على قلبك الرّقيق من الألم، فقد تغلبك الأشواق وتضنيك، فتضجّ روحك مستغيثة باللّقاء ثمّ تحزنين لأنّه بعيد جدّا فتصابين بالكآبة..

تتأمّل الحروف تحت ضوء القمر الخافت ثمّ تهمس : قال لي مرّة لو أملك أن أغيّر هذا الواقع لكان ردي غير هذا الرّد. آه، لو يعلم أيّ باب للأمل قد جعله لا مفتوحا ولا مغلقا، وكأنّ الباب مبتسم، كهذا الفجر الذي يبشّر بكثير من النّور . فلن أكون قاسية كي أغلق الباب، سأتركه مواربا كما تركه؛ عسى أن أمنيّ نفسي كما تمنيّ الأم طفلها الجائع بالطّعام، حتىّ يدركه النّوم فينام هادئ العين قرير البال، في مخيّلته أنواع من الطّعام الشّهيّ والشّراب الذي ينسيه عطش السّنين.. أنا مثله وأكثر.. بقلبي تسكن أشواق عمر كامل من الانتظار، ولا أستطيع. وأنّى لي أن أفعل وأجرّع نفسي الألم، وقد أعطاني بصيص أمل ... شمعة أضيء بها حياتي.

الرّافض

بقلم: خليل حلاوجي

كلما أنصت للقرآن، امتلأ قلبه بالنّور وبكى بمرارة، حين تذكّره آيات سورة (النّور) بأنّ ماحصل له من شرّ هو بالأصل خير له وفير .. وتذكّر تلك السّاعة التي ألقت عليه قوات التّحالف القبض، وهو متجاوز لساعة حظر التّجوال، ولم ينفع وقتها قسمه لهم أنّ سيارته التي تعطّلت هي من أعاقت وصوله إلى داره .. لقد أودعوه السّجن، وتنقّلت أوراق اعتقاله، وقد كُتب في أوّل سطورها: (إرهابيّ كان يعدّ سيّارته للتّفجير خارج أوقات حظر التّجوال).

لذلك تخلّى عنه كلّ أحبابه، فوجد نفسه لأوّل مرّة في التجاء إلى خالقه، وقد فوّض أمره إليه فخرج من معايير الالتصاق بحدود الزمان والمكان، وتوحّد قلبه مع تقلّبات القلوب بإذن خالقها منصاعا لحكمته جلّ في علاه .. فأتمّ من الأمن ماأثلج صدره، وجعله يدهش جميع من سكن السّجن بلسانه الذي بدأ ينطق بألوان اليقين، وهو يطلق قذائف الحقّ .. ينصت إليه باهتمام

obeikandl.com

ضباط السّجن، وهو يحدّثهم عن فلسفة التّفرعن، كما التفّ حوله السّجناء، وهو يبشّرهم عن فقه الفرج .. كأنّه كان يقرأ من كتاب حروفه من كبد يلوك لهم المعاني، فيصلهم منها الشّفاء.

وحين ذاع صيته وأَ مِنَ له كل من عرفه، صار يوقظ السّجان والمسجون ليتمّوا صِلاتَهم وصلواتهم مع الله، يشرف على إطعامهم بعد أن يتأكّد أنّه جاء من مسالك ترضي الله، يهتم بنظافة قلوب من حوله فيجعلهم يغتسلون من أدران القسوة والهوى في اليوم خمس مرات. صارت مملكته في الزّنزانة تذكرنا بعصر الوحي حين كان ينقل حقيقة الوجود من أمين السماء الى أمين الارض.

بعد أقل من سنة، شعر القضاة ببراءته فكتبوا فوق صحيفته .. أمرا بإطلاق سراحه. كتب اليهم يشكر لهم صنيعهم رافضا نسيانهم لملايين المسجونين، مذكّرا إيّاهم بسورة (النور) التي قلبت محاور وجوده حرّا في سجون قوّات الاحتلال.

وماهي إلّا سنة أخرى، حتّى تحرّرالقضاة أنفسهم من سجن غلّهم القابع في صدورهم، بعد أن أدمنوا التّدبّر من كتبه .. وقرأوا أبجديّة النّور.

obeikandi.com

حكاية شهيد

بقلم: قوادري علي

نهض (مرّاد) على أصوات صراخ الجنود، وهم يحاصرون الخيام الحمراء، والفجر يرسل أوّل خيوطه ..كان الوقت وقت حصاد..السّنابل صفراء تنتظر ضربات المنجل، وفي الأفق في أعلى جبل (سردون)*كان الثّلج يغطّي ظهر هذا الجبل النّازح اسمه من روما..

سمع صوتا يقول بالفرنسيّة:

- مخلوف..اذهب وفتّش تلك الخيمة!

كان الصّوت قريبا جدّا، فعلم أنّه يعني الخيمة التي يختبئ فيها..عقد (مرّاد) ما بين حاجبيه، ونظر ذات اليمين وذات الشّمال..تلمّس رجله وذراعه المجروحتين منذ ثلاثة أيام بعد خوضه لمعركة ضدّ العدوّ في جبل (سردون)، والتي أبلى فيها البلاء الحسن، حيث استطاع برفقة مجموعة صغيرة من فكّ الحصار المضروب على المجاهدين..كيف لا؟! وهو أسد المنطقة ونازع النّوم من عيون الفرنسيّين، فكلام القرية لا يتوقّف عن ذكر

obeikandi.com

بطولاته..

بالأمس هاجم (مرّاد) وجنوده فيلقا للعدو ضواحي (الحرشة)*..بالأمس حطّم (مرّاد) في كمين دبّابة في (شعب الزّمره)*..بالأمس قتل مرّاد الكابتن جاك والخائن محمود..بالأمس ..بالأمس

ها هو الآن يواجه مصيره ضعيفا جريحا....إنّه لا يخاف الموت، لكن عزّ عليه أن يموت هكذا.. رفع رأسه إلى السّماء، كأنّما يلاحق شبحا في الخيال..كانت صورة أمّه الطيبة (العجوز مسعودة) الضّريرة بلباسها النّائلي التّقليدي، ووشم يذكره منذ صباه على جبهتها..وانبلجت أمامه صورة بيتهم العتيق وصورته آخر مرّة خرج من عندها حاملا سلاحه الذي غنمه من قتل الجندي الذي قتل أباه، وآخر ليلة، وهو يودّعها ويوصيها بالصّبر ..كانت المسكينة تقبّله وتبكي..

- كفى يا أميمة كفكفي الدمع وهلّلي، فإنّي ماض إلى الجهاد مع إخوة لي تركوا النّفس والنفيس ملبّين نداء الوطن..ولا أظنني إلاّ نائلا إحدى الحسنيين: إمّا الشهادة أو النّصر..فإن كانت إحداهما، فزغردي وكبّري..

ردّت عليه كاتمة الحزن الذي يمزّق كبدها:

obeikandi.com

-امض يا بنيّ، بارك الله فيك، وأعادك إليّ سالما منتصرا (بركة الأولياء الصّالحين (سيدي بن يوب) *و(سيدي أمحمد بن صالح)* ..من الغد سأخرج (روينة)* جدّي معروفا عليك..

بينما هو شارد الفكر سابح بذاكرته في الماضي، إذ بصوت غليظ يصرخ:

- إذن أنت هنا أيّها الكلب..

إنّه يعرف هذا الصوت دون الالتفات إليه.. صوت ابن عمّه (السعيد) الخائن، لكنّ هذا الأخير لم ينتظر الرّد، فإنهال عليه وهو يصرخ منتشيا:

- اخرج أيّها الكلب..اخرج!

تدّخل صاحب الخيمة (الحاج لخضر) متوسّلا:

- بالله عليك يا السعيد، أستحلفك القرابة وصلة الرّحم التي تجمعنا أن تكتم سرّه وأن لا تشي به..

بينما الجنود يجمعون البدو في مكان واحد قصد الاستجواب، سمعت طلقات رصاص من خيمة (الحاج لخضر)..اقشعرّت الأبدان..فغرت الأفواه..توجّهت كلّ الأنظار صوب السعيد الخائن، وهو يجّر جثّة..جثّة المجاهد البطل..صرخ الجميع:

لقد قتله!

obeikandl.com

قتله من أجل فرنسا ..حمل جثّته على ظهر حمار..كان كالهزبر..طاف بها الخائن أرجاء القرية بتباهٍ، وهو يصرخ في الوجوه ذات العيون الممطرة: صغيرها، كبيرها، شيخها ونساءها..

- هذا جزاء من يتحدّى فرنسا العظيمة، ويحاول أن يجعل نفسه بطلا.

لكنّ الزّغاريد قطعت كلامه، وبدأت تعلو لتملأ الجبال والوهاد، وتتوحّد مع عرق الفلاّح وبكاء الطّفل الرضيع بين أحضان الأمهات، مع اصطكاك الجمر بالجمر في المواقد، مع عودة القطيع، مع ناي الرّاعي الحزين، مع رائحة الشّيح البرّي وأوراق الحلفاء، وهي ترقص لنسيمات الهواء؛ ليتفجّر الصوت المبحوح داخل حناجر المظلومين والصامتين، والضرير، والشّيخ المسنّ والأخرص..

- تحيا الجزائر..تحيا الجزائر..

في لحظة هول وانصهار في جسد واحد وصوت واحد من أقصى الجنوب إلى أقصى الشمال، حلّقت قطرات دم الشهيد (مرّاد) راحلة لتلتقي بقطرات في الأوراس، والونشريس، وفي قلب القصبة ساكنة رجالا عاهدوا الله إمّا النصر أو الشهادة..ثمّ امتزج صوت

obeikandi.com

الرّصاص بصوت الزّغاريد، ليتزاوج صوت الموت والحيّاة في فسيفساء مهيبة..

الله أكبر..الله أكبر!

في هذه اللحظة خرجت العجوز (مسعودة) الضرّيرة لا يقودها أحد غير بصيرتها..وغريزة الأمّ..تتلمّس الطّريق بإعياء..تعرف أنّ الشّهيد ابنها..هي الرّؤيا خبّرتها ليلا أنّ النّسر الذي فارق عشّه لن يعود.. وهي روحه زارتها مودّعة قبيل استشهاده..

هنا نزلت دمعة على خدّ (الحاجّة جديّه) على الرّغم من مكابرتها..كانت تقصّ الحكاية على ابنها وأحفادها..ابنها ذي الاثنتين والأربعين سنّة..فهي دائما تقصّ عليه الحكاية نفسها..(الحاجّة جديّه) تعيش غيبوبة طوال العام وحين تحلّ الليلة الأخيرة من أكتوبر، تجمع أبناءها وأحفادها، وتروي لهم الحكاية بنفس الأسلوب والحماس، فتملأ المكان تشوّقا وإحساسا بالإنتماء للأبطال والمعارك..وحين يعسعس الليل، ويتنفّس الصبح، تصلّي الفجر ثم تعود إلى غيبوبتها راضية مرضيّة ..

شرَك الشّيطان

بقلم: الفرحان بوعزّه

هاجمتني العواصف منذ الصّبا وتذكرت، فكانت الذكريات تنخر ذهني بلا حدود ، والورقة النقدية المشؤومة غدت سجناً بلا قضبان .. وصوت الرّجل يناديني من بعيد.. ردّ الورقة يا طفل **!..**

الآن أفرك كفّي من صدأ الذّنب الكبير، والخناجر الصّامتة تنهشني بدون توقف. ماذا أقول في زمن الزّلزلة..؟ لقد أنبأ الله بها من قديم.. ماذا أقول لمحقّق القبور بعد الشّهقة الأخيرة..؟

كان الزّمان يقضم الوقت ثانية ثانية، وخيوط الشّمس تغنّي في السّوق معلنة حرباً على الضّباب، فتراء ت لي رؤوس البشر كحبّات السّبحة متناثرة، جاءت من كلّ فج عميق تبيع وتشتري ما تريد..

في هذا اليوم بالذّات، اقتربت من السّعير. نصب الشّيطان لي فخّاً كالطّائر الجائع فرغت حوصلته من الحبوب، حينما وقف الرّجل أمامي منتصباً، وهو يعدّ أوراقه النّقديّة . كنت أرقبها وهي ترتجف بين أنامله الخشبيّة.. كاد الانتظار يكسر أنفي، فانفلتت ورقة نقديّة وسقطت على الأرض، وبسرعة خاطفة، وضعت عليها رجلي

اليمنى، وخنقتها فلم تعد ترى النّور .. لم أتحرّك ولم أتململ من مكاني. كدت أفقد توازني، فسحبت رجلي اليسرى في تؤدَة، ثم استويت في وقفتي..

أعطاني الرّجل النّقود التي كانت ديناً لأبي عليه، بعدما أتمّ العدّ، وهو ينتظر انصرافي. نظر إليّ في ارتياب كأنّه يجرّدني من ثيابي، فخفت أن يفتضح أمري، لكنّ الرّجل خرج عن صمته، وقال بعدما ترك لي الفرصة لإعمال الفكر واختبار الذكاء:

هيّا انصرف، يا لوقاحة أطفال اليوم ..! ما عهدنا هذا في زماننا ..! قالها بنبرة حادّة، بعدما نعتني بالغباوة. ابتسمت ابتسامة حمقاء، قلت في نفسي : لا غباوة أفدح من غباوتك يا عمّي علال..! وفي رمشة عين، أسقطت كلّ الأوراق النّقديّة، فاختلطت جميعها، انحنيت عليها كالعقاب وجمعتها دون ترتيب .. وحلّت المشكلة في نظري!..

رددت النّقود إلى أبي، واحتفظت بالورقة النّقديّة الفائضة .. لم أبدِّرْها، ولم أشتر بها حلوى أو مأكل، رغم أنّني لا أجد ما أملأ به معدتي .. طعامي الدّائم هو كسرة خبز، وماء بارد، وكأس شاي ساخن .. قمعت الشّهوة في مهدها وأحكمت الحزام على بطني .. أتدري ما اشتريت بها ..؟ كتباً مستعملة وأقلاماً ودفاتر .. وكنت

obeikandi.com

مسروراً بالصّفقة المربحة!....

على ضوء المصباح الزّيتي ، كنت أقرأ كتاب"النّظرات" للمنفلوطي، أكاد ألتهم سطوره قبل أن يغلبني النّوم ... قرأت من بين ما قرأت : أتدري ما هو الخلق عندي ..؟ وما أن أتممت النّصّ حتى انتفضت كالمحموم، فتشككت في خلقي، وشعرت بانعدام المسؤوليّة أمام الضّمير ...ضيّعتُ الفضيلة التي كان يحثّ عليها أستاذي، كان – رحمه الله – يجتهد في تهذيب ضمائرنا، بترسيخ قيم الفضيلة والدّعوة إلى نبذ الرّذيلة كالخيانة والطّمع، وكلّ سلوك مشين لا يتماشى وشريعة الله .. فقلت محدّثاً نفسي:

سرقتَ اليوم، وما قدّرتَ الفضيلة حقّ قدرها..! قلتُ: كلّ النّاس يسرقون. والحاجة تدفعهم للسّلب والنّهب.. وأنا ما نهبتُ إلّا ورقة نقديّة.. ماذا تقول يا طفل..؟ سرقتَ الرّجل الفقيه الذي أطعمك مع أولاده بالأمس!..

لفّت الحيرة رقبتي، فصمّمت أن أردّ الورقة النّقديّة إلى صاحبها عندما أشتغل..؟ نسيت القضيّة، وغافلتني الأيّام ، فمرّت تجري كنبع لا يتوقف، والزّمان يقود أيّامه إلى الأمام، والحزن يركض وينتفض في صدري .. يعتصرني القلق ، ويستبدّ بي كلّما رأيت تلك الكتب فوق طاولتي..

أطفأت ذبالة المصباح الزّيتي، ونمت نومة المكروب، فتراءت لي حبال من نارّ تجلّد جسمي، وتلتفّ حول عنقي، تضغط وتضغط، وأنا أحاول إدخال أصابعي بينها وبين جلدة عنقي، فأفقت مذعورًا والعرق يتصبّب داخل منامتي، برد جسمي وكأنّ جليداً يسلخ جلدي . فصمّمت أن أبيع غداً تلك الكتب عسى أن أضعف من سطوة الذّنب المؤرّق..

تداولت الأيّام بين الناس، والذّكريات تطوى كطيّ السّجلّ للكتاب، وحادثة الورقة النّقديّة نائمة كفتنة قابلة للاشتعال في كلّ حين..

توظّفت بعيداً عن قريتي، اشتغلت بالتّعليم، ولا أرجع إلى مسقط رأسي إلّا بعد انتهاء الموسم الدّراسيّ . كنت أجوب في نفس السّوق، والخلائق البشريّة تنغل كالنّمل داخل فضاء فسيح، فإذا بالرّجل الذي قابلته منذ سبع سنوات يخطو بخطوات وئيدة أمامي . انجلى غبار النّسيان عن تلك الذّكرى الأليمة، فدخلت في كهف شجن عميق، وشعرت بصخرة الخطيئة تضغط من جديد . لا زال المشهد حيّاً. وأنا أنقض على الورقة النّقديّة، اضطربت أصابعي، تملّكني الخوف والرّعب، وشابتني صفرة قاتمة. كنت أتوقف بين الحين والآخر متخلّفاً بعض الشّيء عن أخي ، ارتاب في أمري،

obeikandi.com

فسألني ما بك..؟ أجبت حالة عابرة فقط ..؟ لا تهتمّ بالأمر!..
تذكّرت الوعد الذي قطعته على نفسي، فجريت وراء الرّجل ، لكنّه غاب بين الحشود. فمعالم السّوق البدويّ لم تتغيّر. بحثت عنه فوجدته في المكان المعتاد . وقفت مشدوهاً، فرأيت وجها بدلته قسوة تقاس بسبعة أعوام . كان الرّجل قصير القامة، عريض الكتفين، ذا لحية بيضاء، تظهر عليه بلاء السنين . واليد الخفية التي خطّت تلك السّعادة الهنيّة قد مسحتها الأعوام الطّوال، فانسحب الدّم عن الوجه الوقور، فبدا شاحباً .. خطوت نحوه في تؤدّة، وسلّمت عليه فقال:

من ..؟

. أنا ولد فلان ... يا طيّب ، يا فقيه!..

. أهلا وسهلا، والله طالت غيبتك ، أصبحت رجلا يا سعيد...

. الزّمن يغيّر يا عمّي علال، وأنت تعرف العمل خاصّة في بلاد قصية..

تعثّرت الكلمات في فمي، فوددت أن أكسر حاجز الصّمت المؤقّت، وأنزع السّدادة عن فكري، فكانت الكلمات تطير إلى أذنه المائلة صوب فمي . في تتابع وأنا أرفع من صوتي .

. يا عمّي علال، أنت ضيف عندي. هذا وقت الغذاء، وغذاء

السّوق لذيذ، خاصّة نكهة الشواء..

تلّكأ الرّجل قليلا، فأقسمت عليه، وكرّرت القسم مرارًا..

. لا بأس ، أكرمك الله ، هيّا بنا!..

تناولنا الغذاء، ونحن نغوص في أحاديث متفرّقة، ننقضّ على الأحداث من آخرها، ولا نستقرّ على موضوع .. فقلت :

. خذ هذه الورقة النّقدية، فهي لك، وهي دراهمك، سرقتها منك في الأيّام البالية ... لما كنت في الإعدادي، وهذه مثلها. أرجوك أن تسامحني يا عمّي علال في الدّنيا والآخرة ! ..

استغرب الرّجل لما سمع كلامي، فشخص بعينيه إلى الفضاء، ابتسم وقال :

حقّا أنا المغفّل آنذاك ..! هوّن على نفسك.. قال تعالى: "وإني لغفّار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى .." فالتّوبة حصلت، وبإذنه يرفع عنك غضبه . هيّا بنا فتبعات السّوق لا تنتهي، وسنتمّ حديثنا في القرية إن شاء الله.

obeikandi.com

دَجاجةٌ بيّاضَة

بقلم: مصطفى حمزة

"لَميس" مُدرّسةٌ عانسٌ، أكملتْ عدّ الثانيةِ والخمسينَ من عُمُرِها، وفي غربتِها عدّتْ عشرينَ سنةً .. حتّى الآن ! تعيشُ وحدَها في بيتٍ صغيرٍ يُودّع الحياة بأقصى المدينة ! لا تُفكّرُ في الانتقالِ منه أبداً؛ للمبلغ الزّهيد الذي تدفعه أجرة له؛ ساكتةً عن أبوابٍ سكرانة، وحنفيّاتٍ مخنوقة، وسقفٍ عجوز، ومرافقَ بلغتْ أرذلَ العمر، وغرفةٍ بينَها وبينَ الشمسِ قطيعة منذُ بُنِيَتْ!

كلّ من يعرفها يعلمُ كم هي مُتعَبَة في عملِها بالمدرسة الثانويّة الكبيرة التي يمتدّ دوامُها حتّى قُبيل العصر.! تغادر المدرسة بسيارتها (الغولف) الصّغيرة التي لا يدور محرّكها إلاّ بعدَ معاندةٍ وصراخ، فقد تعبَ جداً من إهمالِها المستمرّ له عبرَ السّنين ! وتقصد السّوقَ القديمة لتباشر ما تحتاجه، فهي لا تثق (بالسوبّر ماركت) القريب من بيتها، ولا بمكيالِه، ولا بأسعاره !! ثم تتغدّى ممّا أعَدّتْهُ ليلاً على عُجالة، ومن ثَمّ تقصدُ مركزَ تعليم الكبار المسائيّ ؛ الذي

obeikandl.com

تتشبّثُ به تشبّثَ السّحليةِ العجوز بغصنِ الشّجرة الضّعيف الدّقيق ! و لا تزال تتزلّفُ كلّ عام ليُبقوها مدرّسة فيه، رغم المبلغ البخس الذي يعود عليها منه !

ثمّ يأتي عليها اللّيلُ بجولاتٍ مكّوكيّة للدروس الخاصّة، من بيتِ طالبةٍ لبيتِ أخرى فأخرى !! أمّا قُبيلَ الامتحانات وفي أثنائها، فلميسُ تعيشُ على (السّندويش) .. لأنّ وقتَها ضيّقٌ جدّاً جدّاً، وما شئتَ من (جِدّاً)!

وقدْ أجّلتْ حجّها سنةً بعدَ سنةٍ؛ حتى ارتفعتْ أسعارُهُ، وبلغتْ تكاليفُهُ حدّاً جعلها تُحجمُ حتّى عن التّفكيرِ به!

وأمّا في أيّامِ العُطلِ والإجازات والأعياد، فتقضيها (الأبلة لميس) نوماً مديداً مُنسرِحاً طويلاً تهربُ به من دقّات الساعة !! وكانت كلّما نصحها أحدُهم بقضاءِ تلك الأيّام أو بعضِها أو العيدينِ منها على الأقلّ في بلدِها وبينَ أهلِها؛ تستحضرُ مكتب السفر وتكاليفَ الرحلة ومصاريفَها، فيمتقعُ وجهُها من الفزع، و يَنتقع من الهَلع، وتأخذ باختراع الأعذارَ!!

أكرهُ ما تكرهُ "لميس" الحديثُ عن العُمر والموت والآخرة .. وأن

تقع عينُها على واحدة من تلك اللافتات الإعلانيّة المنتشرة على جوانب الشّوارع الرئيسيّة التي تحثّ على التبرّع للمحتاجين، وعلى كفالة الأيتام، وعلى الصّدقة الجارية!

في بلدِها، أخوها (شفيق) – الذي لاتكفّ عن الدّعاءِ له – اشترى لها بستانَ تُفّاح، وسوّره لها بأشجارِ السّرو، وبنى لها فيه أربعَ غُرف مع المرافق، وكلّها (ديلوكس)، ورصفَ لها أمامها فُسحة كبيرة، وجهّزها لها بمراجيح، وألعاب هزّازة ودوّارة، وبركة ماء مع نافورة تعلو أربعة أمتار ! واشترى لها في قرية (سحاب) المصيف الجبلي السّاحر شقّةً، صُمّمتْ لتسعَ أربع أسرٍ كبيرة، وجهّزها لها أيضاً أحسنَ تجهيزٍ، وفرشها لها بأفخر أثاث تُركيّ؛ لكي يجتمعوا عندها فيه كلّ إجازة صيف كلّهم، فتقرّ عينُها بهم جميعاً في آنٍ معاً!

والمشروعُ الكبيرُ الذي يُعدّه لها (شفيق) – الله يرضى عليه – هو مشروع العمر ، كما حدّثتْ زميلاتِها. بيتٌ عربيّ قديم، كتبَ عقد شرائه لها الصيفَ الماضيَ، وعَهِدَ فيه إلى مهندسٍ مشهور لِيُقيمَ مكانه (حضانة أطفال عصريّة متطوّرة) مع حافلةٍ خاصةٍ

بها . صحيحٌ أنّه سيُكلّفها مبالغَ باهظة وسوف يستغرق سنوات لإنجازه؛ لكنّه سيكون مُستقرّها ومصدرَ دخلٍ مُحترمٍ لها حين تعود .. إن شاء الله تعالى !

هل عرفتم الآن لماذا يُشجّعها وينصحها – بلا كلل ولا ملل – إخوتُها الشّبابُ الأربعة، مع نسائهم وأولادهم وبناتهم، ويدعونَ اللهَ لا يَفتُرون .. لتبقى هناك في الخليج " مُدرّسةً (قدّ الدّنيا) يرفعونَ بها رؤوسَهم " ؟!

obeikandl.com

الإبر المسمومة

بقلم: فائز حسن العوض

بعد خمسة عشر عاما أو يزيد من وفاة أبي، سمحت لي أمّي بدخول غرفته لأوّل مرّة.. بعد رحيله المبكّر، وطوال سنوات غيابه، كانت تغلق غرفته بالمفتاح دون أن تسمح لمخلوق، ولا حتّي أنا ابنه بدخولها. ظنّت أنّ الوقت لم يحن بعد لذلك. وكانت تتحجّج بذهاب رائحته وعطره إذا دخلها الهواء مرّة وإلى الأبد.

كان كتاب الشعر ل(فؤاد مطر) على الطّاولة، ولم يفارق أبي أبداً.. وهو الوحيد من بين كتبه الذي سمح له بالنّوم على صدره !، وكان بيده حين وفاته، حيث نزعوه منه لحظة الغسل، فأخذته أمي ووضعته على الطاولة عند الصّفحة التى كان يقرأها.

مثلما لشفة الإبريق المنسيّ طعم الأرض يعلو مع الماء، أسمع صوت أبي حين يقرأ لينساب شعر نيرودا.. رائحة أبي تضمّخ المكان؛ وعلى الطّاولة غليونه ولفافة تبغ (الأمفورا) رطبة كأنما جيء بها للتّوّ من دكان التّبغ، وعلى طاولة المكتب وخلفها مكتبة الأبنوس، وعليها منحوتة طائر صغير يفتح فمه لأمّه، وهي

تقسّم له ما في جوفها، صرت أسمع صوتهما حتّى اليوم وأتذكّر أبي. وفي الرّكن البعيد للطّاولة لوح شمع طويل بلون البحر الصافي أو لون السّماء الصّافية الشّفافة وحساسيته، وحرصه ألاّ يزعج أحداً.. كان يحرص على وضع خيط اللّهب فوق لوح الشّمع بهدوء، كما كان يتحرّك على أمشاط أصابعه إذا جنّ اللّيل .. كنت معجباً بحزمة الشّيب بصدغيه كخيط دخان أبيض لسيجارة، يرفض أن يغادر شعره بهدوء . كانت أمّي تقدّسه عشقاً، وتقول إنّه نبيّ جاء يعلّم الناس رسالة!.. أذكر أنّهم حين حملوا النّعش، وهمّوا بإخراجه من الباب كادت روح أمي تخرج مع الجثّة !، ظننت أنّ كلّ نسائنا يفعلن الشّيء ذاته.. وأذكر أنّ الباب كان صغيرًا لخروج النّعش وسريره الخشبيّ؛ ولأنّني كنت أمسك بالعنقريب، ولم أك أوده أن يرحل عنّا!. فما كان من حملة النّعش إلاّ أن لفّوه ببرش السّعف الأبيض، وحملوه خارجًا ثمّ أخرجوا سرير الخشب – العنقريب– ووضعوه على الأرض، ثمّ وضعوا الجثمان عليه بعد أن قرأوا الفاتحة جميعًا، قبل أن يدور حول ناصية الدّار وللمرّة الأخيرة، نظرت لأمّي، وهي ترتجف مثل إنسان شقّوا صدره، ونزعوا قلبه دون مخدّر!

لا شكّ أنّ فقده وقع عليها كالمصيبة التى تحلّ بالجسد كلّه.

أذكر أنّ ربطة العنق التى كانت تربطها له أمّي وتجيد ربطها، بعد أن علّمها كيفية ربطها على الطّريقة الأمريكية والإنجليزية والمصرية، ولم أر أجمل منها على عنق رجل، خاصّة تلك الحمراء علي قميصه الأبيض. أو تلك البنّية اللّون حيث يرتدي قميصه (البيج)، بدت أمّي سعيدة، وهي تقوم بربطها، وهو مستسلم كطفل صغير. كما حرصت على اختيار قمصانه كلّ يوم ساعة خروجه، ولمعت له أحذيته قبل خروجه بسعادة، وأحبّ منها تلك الأشياء ، وأعتقدها وهي تربط له ربطة العنق تلك كأنما تربطه إليها !! كانت تفكّها عدة مرات ثم تعيد ربطها دونما سبب ظاهر.

مرّة، طلبت منه أن يربطها لي بعد أن ينزعها عن عنقه، فلم يحلّها وإنما سحب عقدتها للخلف، ونقلها لي لبضع ثوان ثمّ أعادها لصدره وهو يقول لي : "أمك تزعل.!)

أذكر وأنا صغير أذكر أنّي ملت للصخب وكثرة الضحك وهو عكسي ... جادّ، ويبدو حزيناً في دواخله، ورغم سعادته بضحكي كان يقول لي في بعض الأحيان:

obeikandl.com

خذ كلّ نصيبك من الدّنيا في الضحك، فغدًا تغمر قلبك الأحزان، وقد صدق. أوّل حزن غمر قلبي هو رحيله المبكّر . رغم أن أمي ردّدت دائماً بأنّه موجود بيننا بروحه، يزورنا كلّ أسبوع وتعرف ذلك بطريقة ما! وصورته المعلّقة تذكّرني به لذا لم ننسه أبداً... كان رجلاً طقوسياً بكلّ معنى الكلمة، للقراءة عنده طقوس، لا يشرب وهو يقرأ، ولا يقرأ وهو مستلقٍ على سريره. يقول:

للقراءة قدسيّة .. كالصّلاة تماماً، ولذا فهو يقرأ بكامل ملابسه وهو جالس إلى الطاولة في أبهي أناقته كأنّه مدعوّ لحفل عرس.

ظلّت أمّي طيلة الخمسة عشرَ عاماً التى تلت رحيله تفعل الأمور ذاتها.. تقوم بتنظيف مكتبه ثمّ تربط ربطة العنق على مشبك الملابس، كما فعلت سابقاً، وأحياناً تقول للمشبك لاتفكّها، وإلاّ قطعت عنقك!.. أراها تفعل ذلك وأنا أتلصّص عليها من خصاص الباب، وظللت أنا أحادث صورته المعلّقة على جدران الصالة، وأطلب منها كلّ ما يخطر على بالي فأجدها آخر اليوم.. عرفت أنّ أمّي تلبّي طلباتي مثل (بابا نويل)، يأتي بالهدايا للفقراء ليلة عيد الميلاد.شكرت صورته أمامها ، كنّا سعداء بذلك.

عرفت هذا بعد أن كبرت لأنّي طلبت من صورته بعض الأشياء ولم

obeikandi.com

أجدها آخر النهار.. عرفت ذلك بعد رحيل أمّي.

ساعة وضعوه على السرير الخشبيّ للغسل، أراد جارنا عثمان قطع ربطة العنق بمقص طويل حادّ من الأستيل، لكنّ بكائي وتوسّلاتي التي تذيب الصّخر عطفًا، جعلته يغيّر رأية، فنحّى المقصّ جانباً وحلّ ربطتها وسحبها بهدوء من العنق. كان جسده رخواً ليناً ساعتها، وكأنّه نائم، ثمّ فكّ أزرار القميص وسحبه، بعد أن أخرج اليدين، ثمّ سحبه من تحت الجسد ووضع القميص على ذراعي الممدودة، ووضع فوقه ربطة العنق الحمراء تحمل ذكرى أبي وعمي عثمان بصنعته تلك التى أحفظها له كجميل لن أنساه له ماحييت.

حين مرضت أمّي وشعرت بدنوّ أجلها قالت لي: أبوك ترك لك خطابًا علي الطّاولة، اقرأه لوحدك، ثم دسّت مفتاح غرفته في يدي، ونظرت لصورة أبي بابتسامة نحيلة. علت ثغرها تلك الابتسامة الشّاحبة وقالت :

الحمد لله. أكملت رسالتي ورسالة أبيك.

برحيلها أصبحت يتيمًا ووحيدًا. كنت أعمل لأعول نفسي.

وواصلت دراستي في الجامعة حتّى التخرّج. لم أجرؤ يومًا علي فتح

غرفة أبي وقراءة خطابه، إلاّ بعد تخرّجي.. دخلت غرفته وأنا أشعر بأني لن أغادرها كما دخلتها، وأنّ معجزة بانتظاري، تجنبتها سنوات طويلة وأخيراً جرؤت.

على طاولة المكتب وضعت الورقة مطبّقة بشكل جيّد، حقيقة تمنّيت ألاّ أفتحها لولا أنّها ستظلّ تنتظرني ما حييت، بعدما بقيت الوحيد في البيت، اللهمّ اجعله خيرًا! وكأنّي أنزع سدادة جرّة ظلت في أعماق البحر، وغمرتها الطّحالب، ليخرج الجنّ الحبيس.. لقد ولّى زمان المعجزات، وإن كان جنًّا محبوسًا فسيرجوني أن أعيده للجرّة، بعد أن يكتشف تفاهة معجزات الجنّ مقارنة بمعجزات البشر الآن!

فتحت الورقة بأصابع مرتجفة ومرتعشة خوفا، .. الخطّ الأنيق نفسه.. خطّه ... والعبارات الأنيقة والتّهذيب له.. أتذكر حين كنت أقول لك غدًا تغمر قلبك الأحزان؟! كنت أقولها في صدق وإشفاق ممّا سيصيبك!.. سقطت الورقة من يدي إلاّ أنّ قوّة أكبر مني أمرتني بمتابعه القراءة، فما قد حدث لن تغيرّه قراءتك للورقة أو عدمها، فالله وحده يحفظك، واعلم أنّ الإنس والجن لو اجتمعوا على أن يضروك بشي لن يضروك.. "رفعت الأقلام

وجفّت الصحف". والخير فيما يختاره الله امض امض. كنت بكلّ صدق أتمنّى أن تكون ابني من صلبي،ولكن ابن من أنا إذاً ؟!
لولا معرفتي بأنّ أبي لا يكذب لما صدّقته مهما أقسم ..
بإمكاني أن أذهب بسرّي وسرّك للقبر وأتحمّل وحدي عذاب الضّمير، وحتّى عذاب الآخرة، مع علمي بأن الله غفور رحيم .
لكنّ شيئًا في داخلي قال لي عشت حياتك بالصّدق، فاختمها بالصّدق مهما كانت النتيجة. لقد عرضت الأمر على أمّك، فوافقت. كن رجلاً وواجه مصيبتك بشجاعة، وابحث عن والدك الحقيقي، فأنا أعرفه حتّى لا تحقد عليه، فكلّنا بشر وكلنّا خطّاء.
افعل الخير للنّاس فهم سذّج بسطاء يعصون الله خالقهم . اللهمّ قد بلغت فاشهد. لقد صدق حدسي حين قال لي غدًا تغمر قلبك الأحزان؛ لأنها غمرته كمطر منتصف الخريف ويسمّيها أهلنا- الطّرفة الباكية- لأنها ما تنفكّ أن تتوقف عن البكاء ...
مطر كالأسلاك والخيوط الحريريّة الناعمة، كالإبر وهي تنقر الجسد برؤوسها الحادّة، كما تنقر الفراخ أواني الأكل المسمّاة بالأكّالات، لكنّها بعد أن تنغرس في الجسد تغوص فيه حتّى إذا ما دخلته لا تكتفي بذلك، بل تبدأ رحله السّباحة لتصل القلب ذات يوم.

أعوام الألم

بقلم: منى الخالدي

في أعوامٍ لم تخلُ من الهمّ والألم، كنتُ ومعه (الأخير) على موعدٍ دائم والاحتضان بيننا كان ولم يزل قائماً دون قيدٍ أو شرطٍ أو حدود.

كنت أستمع لنبض قلبه (أبي) وهو يحكي قصّة فراقه التي اقتربت. كان يبثّ لنا رسالةً : " الغربة ما عادت تحتملني". ذلك الطّوق من الكبرياء لم يعد قادراً على إخفائه عن عيوننا، التي كانت تنظر إليه بوجلٍ و خشيةٍ من رحيله فجأة دون أن يخبرنا أو حتّى نشعر به..

في تلك الليلةِ المشؤومة، والتي رن بها هاتف منزلي يخبرني فيها أخي أنّ والدي في الطوارئ، أضعتُ بصيرتي.. أبحث عن أمتعة السفرِ لا أجد منها شيئًا يدلّني على نفسي..

موشومٌ أنت بروحي و دمي.. يا قطعة منك أنا؛ كيف غافلنا الزّمن وحرمني من أن أحملك على أكتاف روحي، وأنت تصارع بقعة دمٍ اقتحمتْ خلسةً دماغك التي كانت تزن بلدًا ومئةً من

obeikandl.com

الفتيان الأبطال.

كنت متوجّسة أن لا أجدك سوى جثة هامدة، أوَ قد هان عليك تركي حتّى دون وداعي ؟! ها أنا ذي أصلكَ بخطىً كأنّني محمولة على ريح تسرعُ بي إلى مجهولٍ و فضاءٍ لا أدرك آخره..

عند الباب أخي ينتظر وصولي .. كان وجهه منتفخًا لكثرة البكاء !..

– هل مات أبي؟ أخبرني بربّك..قل لي أين أبي؟

– أبي في الإنعاش لم يغب اسمكِ عن صوتهِ، اذهبي إليه.. لا تُشعريه بخطورة ما هو فيه حبيبتي.

وصلتُ اخيراً إلى الغرفة البيضاء.. كلّ شيء فيها أبيض..كأنهم غلّفوك بكفنٍ قبل موتكَ أبي..جعلوني أحفر لك قبرًا بين أضلعي..وقفت إلى جانبك، وأمسكت بيدك المشلولة.. لم تشعر بي هممتُ بتقبيل جبينك الطّاهر..

سقطتْ من عينيّ دمعتان ... صحوتَ على أثرهما من الغيبوبة، ورأيتني على رأسك..

خطفتُ خطوةً مسرعة رجوعاً إلى أخي:

– ما به أبي؟

– جلطة في الدّماغ أدّت إلى شلل نصفه الأيسر..

obeikandi.com

- يا الله!

- قد لا يعيش إلّا لساعات منى..سنفقد أبانا الذي أتعبته الغربة معنا..

على هوّةٍ الفقد وقفتُ، ومساحة الوجعِ تمدّدت إلى أبعد حدّ. بكلّ جرأة تداخلت في اجزائي، وأشعلت في داخلي فوضى من المشاعر المحمومة، وبدأت ينابيع البكاء تشاكس شطّ عينيّ، وكأنهما في عصر تحدٍّ و أنا بينهما عنصر ذلك التّحدي أستسلمُ لهما بالوجيب.

كيف كنت تمنعني عنه، وأنت تمارسه خلف أسوار الأبوّةِ بعيدًا عن عيوننا ؟ أتَعْلمُ أبي أنّك في كلّ رحلةٍ بكاءٍ لك..كنت تزرع في داخلي رجلًا جديدًا بوجهٍ مختلفٍ عن سابقيه ممّن بكوا من الرّجال !

مضى عامٌ كاملٌ وبقيتَ تبكي صمتاً..في كلّ زيارة لكَ تمسكُ بيدي رجاء أن لا أغادر غرفتك، و أتركك وحيداً بين جدران أربعة في غرفة لا تحوي غير البياض وكيساً من الطّعام المطحون موصولاً بأنبوب يخترقُ بقسوةٍ معدتك، وكأنّها رصاصةٌ في صدري أنا.

استسلمت للمرضِ، وتمكّن منك بعد أن فشلتْ كلّ محاولاتنا في أن تعدلَكَ عن فكرة الرّحيل عنّا، فاصطادكَ حتّى بدأ يتمادى في أحتواء أجزائك..فقدمك فساقك اليمنى حتّى... بُترتْ!

فجيعتي بساقك كانت أكبر من فجيعتي بالوطن الذي كان يصارع الغرباء حينها..ولا يحمل في أرضهِ درعًا غير اسم الله..

الغريبُ أنّك كنت صامتًا بعدَ أن بتروها لك..فكتمت الوجعَ في داخلك وودّعتني كما توجّستُ دون وداعٍ.

لا زلتُ أراك في أحلامي بأجملَ روحٍ تزورني كلّما احتجتُكَ فيها، ونعاكَ قلبي ..ستبقى أروع وأوسمَ رجلٍ مرّ في تأريخ أعوامي الماضية والقادمة.

لمْ أسحب منك الألم، ولم أفدِكَ بروحي، فهل ستصفحُ عنّي ؟

obeikandl.com

شَرِيطَةٌ حَمْرَاءُ

بقلم: دينا نبيل

الماء الدّافئ يُمطرني، يتخلّل الغوائر من جسدي .. في المغطس أنزل، وفي الماء أغوص حتّى أنفي .. أغوص والبخار يتصاعد.. أبحث عن ثغرة أتنفس منها.. أصابعي تذوب يأكلها الماء حثيثًا، تفرّ منها الدّماء .. تَبْيضّ عدا أعطاب، أطرافي تطفو، تنفصل عن جسدي المتهرّئ، رويدًا رويدًا .. يسبح كلّ منها في اتّجاه، تتشبّث بجوانب المغطس .. تشهق .. وتصعد!

تناولَت المناديل تتتّبع بقايا مساحيق التّجميل العالقة بوجهها، تمسح بكفّها بخارًا وقطراتِ ماءٍ علتِ المرآة .. المرآة تنتح من جديد. بدت صورتُها متعرّجة، تشقّها مجارٍ رفيعة .. متردّدة تتوقّف حينًا، وتجري أحيانًا.. تسيل وتقطر . "لم تكن أنت السّبب أيّها ال... عزيز" !

لم تكن أنت، حينما حملني الرّواق الطّويل يتموّج من تحت قدميّ

obeikandl.com

.. يتقاذفني جانباه، وأنا أستنجد بأهل بيتي كي يدركني أحدهم. ربّما جاء طبيبٌ أو أُخذتْ منّي عينةٌ إلى معملٍ .. وبعدها، اكتشفتك بداخلي. لم أحزن. ربّما أنا حزينة لأنّك لست أنت وحدك الآن بداخلي .. لم أتوقع أنّني أحمل توأمًا لك، بينما تتوغّل فيّ أنت وتحتلّ خلاياي. كان هو مستكينًا يتأملّني على مهلٍ.. كيف منذ ذلك الحين، واللّون الأبيض يلاحقني في كلّ شيء .. النّاس ، الأَسِرّة والحيطان .. حتّى الفراغ صار أبيض .. يقهر ألواني وجسدي. أردتُ استفزازَه بشعرٍ مستعارٍ أسودَ رغم استهجان زوجي لمظهره، وتحاشيه النّظر إليّ عند ارتدائي إيّاه، فما تكون إجابتي ساعتها سوى .." أريد أن أتشبّث بما بقي لي من أنثى"! ربّما كانت أنثى.. الآن هي تزحف في أركان مملكتها النّائية، تلملم صورًا متوارية خلف قضبان متآكلة؛ لتعارك بها زوايا استبدّت بواجهتها الجديدة، تصرّ أن تحشرها بينها والمرآة .. يُقسّمها الإطارُ نصفين ثانيهما مبتور ، لتفزع إلى السّتائر تسدلها، والنّور تطفئه .. إلّا أنّ فرعًا منها يشدّها، فتفتح نوافذها من أجل " زهرة " ذات سنوات تسع لا تملك سواها .. تجلس إلى جوارها تتابعها

بعينين غائرتين، تشتمّ عبيرها الطّفوليّ، فتلوّن عالمها الأمهق، وتحيلها عروسًا تنساب مراقصة إيّاها.

" زهرة .. هل عدتِ ؟"

تعالَي ! .. كم أودّ لو أعيدكِ إلى بيتكِ الأوّل، حينما كنّا شيئًا واحدًا .. خاصًا جدًا، أتسمّع إلى نبضكِ؛ كي أتيقّن أنّ ثمّة حياة بداخلي ، تمصّين دمائي ، تهدجين أنفاسي، وأنتظر لحظة أرى فيها ذلك المخلوق الصّغير الذي يسلُبني وأحبّه ! .. وها أنا ذا أُلتَهم مجدّدًا من كائنٍ ضبابيّ يغورُ في أوصالي .. ولا أراه إلّا حينما أنظرُ في المرآة!

" – (ماما) .. غيّري لي ملابسي" !

لمَ ؟! .. مُربيّتها دومًا تفعل هذا، فلمَ تطلب اليوم منها؟! .. مضطربة هرعت تغسل يديها بالماء السّاخن حتّى كادت تنفجر منها الدّماء. رائحة المعقّم النّفّاذة أذهبت رائحة الرّأس الطّفوليّ . بأطراف أصابعها تحلّ شريطة حمراء معقودة حول ذيل حصان بنيّ حريريّ .. تتعرّق يداها، فتبادرهما بالمحارم الورقيّة.

ارفعي رأسك قليلا، دعيني أمشّط شعرك .. وأشبك لكِ هذه الزّهرة ! .. أين الطّرحة ؟! .. لقد تجعّدت. ستأخذها الخادمة للكيّ .. قلت لكِ ارفعي رأسكِ. لم تجفّ زينتُكِ بعد. أتريدين تلطيخَ فستانكِ الأبيض؟ .. خذي، ضعي شريطكِ الأحمر حول خصركِ .. إنّه له ! .. لا تقلقي زهرتي، كلّ شيءٍ سيكون على ما يرام .. ستعجبينه!

"زهرة " .. لن أتركَكِ !، ستعيشين معي. وبناتي في نفس عمركِ الوردي .. ستذهبين معهنّ إلى مدرسة جديدة قريبة من بيتكِ الجديد. سأرعاكِ مثلما كنتُ أفعلُ دومًا .. هيّا بنا الآن! .. ضعي هذه الأزهار على قبر أمّي!

"أمّي .. أمّي .. لا أرى .. أختنق" !

– " سيّدتي، ما الأمر ؟! دعيها .. أنا سأُلبسها ملابسها، وأحضّر لها العشاء" ! ..

ما أعتم انطفاء قمرين صغيرين نُكِّسَا تحت جفون رقيقة ! ..

أكتهَلُ من ارتعاشة ذقنكِ النّاعم، وأنتِ تعضّين على شفتكِ

السّفلى؛ لتحبسي دمعةً تأبى إلّا الانعتاق .. تزعقُ في خرس، تمزّق كياني، وتُذريني في سمائي المربدة باحثةً عن بصيص شعاع شتيت

.. ما جدوى أن تكوني ابنة لأمّ تخشى كفكفة دمع صغيرتها ؟!

.. أُمّ تكهّفها الضنى، فغدت مرتعًا لشبح يرعى.!

الشّريطة الحمراء في يدها، تدُسُّها في دُرج ملابسها الدّاخلية .. تلفّها حول ورقة كجذع شجرة منكمش. ونحو السّرير توجهت، وتحت غطائه الوثير تغوص .. كلّها تغوص، تنتشر أطرافها الذّاوية وتزحف في الدّفء .. لتمتدّ بعد دقائق يدٌ ،كثيرًا ما أبعدها جدارُ الصدّ مؤخرًّا ، تبحثُ عن أنثاها في ثنايا الفراش. والآن عزمتْ على تمزيقِ الجدار والنزول على ستره الغريب هتكًا ؛ ليرى ما الذي جَدّ ! .. هو يدري بالأمر .. والكلّ يدري ، لكن، لمَ التّمنّع وهي تستطيع ؟! .. حتما هي تعلم أنّها تستطيع!

انتفضت مسرعة تسترُ نفسها أمام نظراته المذهولة .. تفتحُ الدّرج وتخرج جذع الشّجرة، تحلّ منه شريطة " زهرة " الحمراء، وتدفع إليه بيدٍ مرتعشة ورقةً تعلوها (شريطة حمراء):

" أنا عندي الإيدز."

سبعة عيون

بقلم: محمّد الشرادي

سبع نسوة سمينات يحطن بسريريها.عانقتها إحداهن وسلّمتها ورقة خضراء رُسمت عليها سبع أعين. ثمّ توجّهت إلى صديقاتها و أخبرتهن أنّ السفر إلى سبع عيون شاقّ وطويل، و عليهنّ الانصراف في الحال إذا كنّ يحرصن على الوصول في رابعة النّهار. قفزت هند من سريرها مذعورة، ثم خرجت، و القلق يؤجّج في عقلها الأسئلة.. بعد الرّجوع من عملها الذي تعيش من راتبه الشّهري في رغد واضح، قرّرت أن تؤدّي صلاة الاستخارة، لعلّها تهتدي إلى السّرّ الكامن في هذا الحضور الكثيف للعدد سبعة في حياتها هذه الأيّام، وإلى سرّ ذلك المكان – سبع عيون – ولماذا اختلفت أحجام تلك العيون؟ الأولى كبيرة...الثّانية أصغر... الثّالثة تقلّ حجما عن الثّانية...و العيون المتبقيّة هي الأصغر لكنّها أكثر جحوظا.

obeikandi.com

في الحقيقة، ليست هند غريبة عن أجواءِ العدد سبعة. عاشت ردحا طويلا من عمرها بين أحضان طقوسه المترعة بالأحلام والابتهالات والقرابين والأحزان.

في قريتها القريبة جدّا من قرى القرون الغابرة. فتحت عينيها، و عقلها ، وقلبها على – سبع رواضي – تلك المقابر السّبع المسكونة بالأرواح، والملائكة، وبسبعة ضُمّان يضمنون النّاس عند ربّهم في الدّنيا و الآخرة. تنهّدت تنهيدة حارة، مصحوبة بكلمات مغلّفة بعواطف مبهمة:

آه يا سبع رواضى. يا بنك الوجع. لكلّ قرويّ فيك حساب جارٍ من الألم...رصيد كبير من الابتهالات، والتّضرّعات...من المعجزات، والخيبات. تحت ثراك ينام رميم أجدادنا، وقد أسبغ عليها العدد سبعة كراماته، فصارت لها مكانة في العقول و القلوب. يا لغرابة هذا العدد. يحفّ بنا كالهواء من كلّ الجهات. يندسّ في ثنايا حياتنا...يتسرّب إلى معتقداتنا...يضفي على أوهامنا، وخرافاتنا قداسة لا تقهر.

ثم يأتيها صوت زوجة أبيها مفعما بالحيوية والرهبة، وهي تردّد الحكاية نفسها، مرات عديدة :

سبع رواضى، رحاب طاهرة. كلّما عزّ المطر، وعطش الزّرع، وجفّ الضّرع. وقف جدّي القديم، في الغسق بين القبورمبتهلا متضرعا، فتنزل من السّماء خيمة عظيمة، ينصبها النّاس للأكل وطلب الغيث، وما يكاد النّهار ينتصف؛ إلّا والمطر يهطل مدرارا، و شآبيب الرّحمة تبهج النّاس، وتبلّل ثيابهم و قلوبهم .

تستطيع زوجة أبيها التّحدّث بثقة كبيرة. أمّا هي فذكرياتها مع كلّ شيء مقرون بالعدد سبعة، تتسم بغموض يمتزج فيه التّردّد بالخوف. وقصّتها مع سبع رواضي كانت مؤلمة. سيظلّ ألمها يعتصر قلبها إلى الأبد، وكلّما سنحت لها الفرصة حكتها بحسرة عميقة :

يوم مشؤوم. كانت فيه الأرض وكأنّها تريد الالتحام بالشّمس التي صارت فوق هاماتنا. تصهر أمخاخنا، و نقي عظامنا .

خلت أزقة القرية الضيّقة من البشر و البهائم و الطّير. لتحتلّها حمم الشّمس الحارقة، و الظّلال الرابضة أمام البنايات والأشجار

obeikandi.com

كحيوانات سقيمة. ابتلعت جميع الكائنات أصواتها، باستثناء جداجد احتمت بجحورها، و طفقت تضغط على الأعصاب بأزيزها المسترسل. في ذلك اليوم، تبيّن لمحمّد، حبّي الأوّل والأخير أنّ العوم في النّهر وحده القادر على التخفيف من غلواء هذا الحرّ. ظلّ يسبح حتّى دنت الشّمس من المغيب. اقترب من ملابسه. كانت هناك تتربص به أفعى ضخمة نفثت سمّها في جسمه. نزل الخبر على قلبي كالصّاعقة. صعدت التّلّ الذي تستريح على سفحه المقابر السبع. تضرّعت ...ابتهلت ابتهالا حارا... سالت دموعي. قربّت ذبيحة سمينة. تركتها هناك للأرواح، و الملائكة وسبعة ضمّان. لكنّهم قابلوا تضرّعي و ابتهالي بخذلان كبير. دفن عمّي ابنه في فناء بيته. ودفن معه قلبي، و رغبتي في الزّواج إلى الأبد. ثم عرّج على سبع رواضي بصق هناك، وأوصى أن تدفن جثّته بعيدا عن تلك المقابر، و عن بركاتها الزّائفة .

أيمكن لخيباتها المتكرّرة مع هذا العدد أن تقلّل من هيبته في قلبها؟ بالطبع لا.مازال يفتنها، وإن لم يكن كما في السابق، فقد ظلّ قابعا في دواخلها.

obeikandi.com

احتجبت الشمس خلف السحب الكثيفة الصباح كله، و الأفق كان مكفهرا ينذر بعاصفة قوية. فجأة، دخلت المكتب فتاة في مقتبل العمر. توجهت صوب زميلة هند في العمل. قبلت رأسها،ثم يديها. أدركت هند أنها أيضا ابنة أخرى لصاحبتها. عندما انصرفت و تحت تأثير المفاجأة سألتها هند .

-أليس عندك أولاد...أعني الذّكور؟

دوّى السّؤال في مسامعها دويّا قويّا...بينما ارتجفت شفتاها ارتجافا عنيفا. لم تصغ زميلتها لاعتذارها.. قاطعتها، والكلام يتدفّق من فمها بحرقة بالغة :

فتحت البعبع لينفلت منه مارد الذكريات الأليمة. كلّ ذريتي بنات. لا أعترض على ذلك. لكنّ حماتي و زوجي يريدان ولدا. صرت أصدّق الجميع. مرّة أعطاني فقيه أعشابا كثيرة.. طلب منّي أن أخلطها مع الماء، وأغتسل به سبعة أيّام متوالية، وألا أختلي بزوجي إلّا في اليوم السّابع، ونحن مستلقيان على الجانب الأيمن؛ لأنّ في التيمّن بركة. لكنّ الولد لم يأت. قبل البطن السّابع زرت أضرحة سبعة رجال بالترتيب الذي نصحتني به أمّي. عندما كنت

أغادر الضّريح الأوّل، ارتمى صبيّ صغير في حضني، و قبّلني قبلة حارة، ولما انشغلت بانتعال حذائي اختفى.

صرت أعتلي زوجي في السّرير؛ لأنّ هذه الوضعية تمنحني إمكانية أن يكون رأسي مرتفعا إلى السّماء، مطلّا على أضرحة سبعة رجال. وفي حالة الهيجان، سالت من عيني دموع حارّة..امتزج الماء بالماء.. سمعت أحشائي تزغرد.. و رأيت جسمي يتوهّج...يتوهّج...حتّى غشي غرفة النّوم نور ساطع يكاد يخطف الأبصار، و في رحم تلك الهالة النّورانيّة رأيت سبعة أقمار تبتسم لي، ومعهم الولد الذي قبّلني في حضرة الشّيخ الأوّل من شيوخ سبعة رجال. فجاء الولد المنتظر، بهيّا جميلا. أحببناه بكلّ ما أوتينا من قوّة، لكنّ الأقدار كانت تخبّئ لنا رجّة عنيفة، في السّنة السّابعة من عمره أصابه الجذام فمات .

كانت كلّ كلمة من كلمات زميلتها تنفجر في القاعة كقنبلة صوتيّة تمزّق طبلة أذنيها. بالكاد حملتها رجلاها. ألقت بنفسها داخل سيارتها :

أيجوز أن يكون سبعة رجال بهذه القسوة؟ يتلاعبون برغبة أمّ كلمى يمنحونها الولد، ثم يسلبونها إيّاه ؟!

obeikandi.com

اهتمامها بمأساة صديقتها التي خلّفت في قلبها حرقة كبيرة، و تزامُن الحدث مع العطلة الأسبوعية، جعل هند تقرّر السّفر بعيدا، دون أن تحدّد وجهة لسفرها .

ضغطت على المكبح حتّى أنَّت الطريق تحت العجلات. كانت هناك إشارة طرقيّة. مسحت الزّجاج الأماميّ، ومن خلفه قرأت "سبع عيون". لم تصدّق عينيها. كانت الإشارة تشير إلى الجهة التي تهبّ منها ريح سموم تحرق البشرة، و تحمل معها غبارا كثيفا يحجب النّظر. التفتت يمنة ويسرة.. لا أحد تسأله. فقط كانت هناك طريق تمتد على طول البصر، في منعرجات حادّة: - أيّ بركة كامنة في هذا العدد الغريب؟ كلّ ما ينسب إليه حقيقيّ.
كنت أعلم في قرارة نفسي أنّ هذا المكان موجود، وأنا الآن، لا أشك في رونقه وجماله. و ما يمكن لعيون سبع أن تسبغه عليه من خير و بركات. خاصّة تلك العين الكبيرة. لابدّ أنّها ستكون غزيرة عذبة.

انطلقت تقود سيّارتها في تلك الطّريق، وما كادت تصعد عقبة نطاء حتّى انتصبت أمامها علامة كبيرة، لكنّها صدئة، بالكاد تقرأ من تحت صدئها "سبع عيون". وقفت مشدوهة، لم تصدّق ما

تراه عيناها. كلّ الأحلام الورديّة التي رسمتها حول هذا المكان تبدّدت في لمح البصر. هل تكون هذه الخيبة الأخرى الحدّ الفاصل بينها و بين البركات المزعومة لهذا العدد، أم أنّ افتتانها بكراماته أكبر من أن ينغصها أيّ شيء.

لم تجد الكلمات المناسبة لتصف بؤس ذلك المكان، الذي امتدّ أمامها قفرا يبابا.. و النّاس يركضون خلف البهائم المحمّلة بالبراميل؛ ليقطعوا مسافات طويلة من أجل قطرة ماء عكرة. استوقفت أحدهم، و سألته .

أين توجد العيون السبع؟ و خاصّة تلك العين الكبيرة .

لا أظنّك تودّين معرفة ذلك. وفي ماذا يمكن أن يفيدك الأمر؟

ألحّت عليه، وأخبرته أنّ الأمر مهمّ جدّا، وعليه ستبني مواقف كثيرة .

العيون السّبع يا سيدتي هم: القايد..الخليفة..الشّيخ...و أربعة مقدّمين. شغلهم الشّاغل هو إحصاء أنفس النّاس.

obeikandi.com

العصفور الأخضر

بقلم: نادية محمد الجابي

تلبّدت سماء غرفة (الانتظار) بغيوم من دخان، وبأنفاس قلقة مضطربة راحت تعبر عن قلقها بأشكال مختلفة.. فهذا راح يذهب ويجيء، والآخر أخذ ينقر الأرض بقدميه نقرات عصبيّة، بينما أخذت تلك تقف حينا وتجلس حينا .. واتّفقوا جميعا على شيء واحد فقط. كانت أعماقهم تهتف في تبتّل يا ربّ .. يا ربّ.

أمّا هي، فقد وقفت مستندة إلى الجدار ممتقعة الوجه كمن غاب عن الوجود. كانت كلّ نبضة فى عروقها، وكلّ قطرة دم فى جسمها تصلّي صلاة خاشعة إلى الله.

وقفت مقابلة لذلك الباب المكتوب عليه (غرفة عمليّات) تنتظر من يطمئنها، ولكنهم غابوا داخلها، وكأنّ الأرض ابتلعتهم.

سرح الخيال منها بعيدا رغما عنها... يوم دقّ الباب ففتحت لترى أجمل عينين . كان صديقا لأخيها جاءِ يسأل عنه، عزف

القلبان مقطوعة جميلة، ونبتت زهرة حبّ نقيّة فى أرضها البكر ..
بعد أيّام، جاءت عائلته خاطبة.. لم يتبادلا كلمة واحدة.. لم يحاول حتّى أن يسألها عن شعورها. فقدكان للعيون حديث خاص.

وسرعان ما لفّهما عشّ سعيد، عرفت فيه جميع ألوان السّعادة .. أعطاها هو كلّ شيء.. الحبّ والحنان والأمان، فأعطته هي كلّ شيء .. الرّوح والقلب والجسد .

أيام حلوة رفرف عليها الحبّ بأجنحته الوردية، فتحرّكت ثمرته فى بطنها.. صنعته من الحب وسقته السعادة، فجاء طفلا جميلا هو لهما البسمة والأمل.

ولكنّ الحياة لا تدع من عليها دون أن يمروا بتلك الاختبارات العسيرة التي تزعزعهم أحيانا، وتزلزلهم أحايين. استيقظت يوما قلقة مضطربة لأحلام مزعجة، وهواجس خبيثة انتابتها طوال اللّيل. ودّت لو تقول له : أحمد .. أبق معي، لا تخرج اليوم .. لكن كلّ ما استطاعت أن تقوله : حاول ألّا تتأخّر .. قال وهو يبتسم : أعدك عزيزتي ألّا أتأخّر.

لم يستطع أن يفي بوعده .. تأخّر كثيرا .. ولم يعد .. ولن يعود أبدا .. هكذا قالوا لها. قالوا كلاما كثيرا لم تستطع أن تستوعبه

obeikandl.com

بسهولة .. حادث .. مستشفى .. موت .. فراق أبديّ.

إعصار قويّ رفعها إلى أعالي السماء، وتركها لتهبط إلى القرار .. ممزّقة الأشلاء، مبعثرة الدّماء.. تمنّت الموت، ولكنّها بعد حين، وبقبس من إيمان، لملمت شتات نفسها وتشبّثت بصغيرها.

رأت فى عينيه عينيّ الحبيب الرّاحل. ابتسمت له فى حنان , وضمّته إلى قلبها ليصبح لها هو الحياة.

ومنذ أيام قليلة فقط، بدأ الصّغير يشعر بآلام حادّة فى أمعائه .. وعندما عرضته على الطّبيب قرّر أنّه محتاج إلى عمليّة سريعة.

وها هي ذي السّاعات تمرّ، والحبيب الغالي بعيد عنها، وقد أقفلوا دونها ذلك الباب.

. ماما .. حبيبتي ماما.

. هه .. نور عيوني .. أين أنت ياحبيبى ؟

يناديها صوت مألوف..كيف حالك أيّتها الحبيبة ؟

قالت بتعجّب : أحمد .. أنت هنا أيضا . شهقت شهقة تدارك وقد ملأ الخوف قلبها:

- لم أنت هنا .. لا تقل إنّك ..

. نعم أيّتها الغالية .. لقد جئنا لنودّعك .. آن الأوان لكي يكون ابننا معي.

obeikandi.com

ارتعدت كلّ أوصالها .. هتفت: إنّه صغير جدّا .. أنا أريده، أحتاجه، ليس لي حياه بدونه.. ألا يكفى رحيلك.

. من أجلك يجب أن يذهب.. سيمنحك رحيله فرصة لكي تعيشي الحياة من جديد.

. بدونه لن تكون لى حياة .. بل نار مستعرة ستأكل عمري.. ظلام دامس ليس له نهاية.

. النار تصقل الذّهب، ومن الظّلام يولد النّور..

. ماما .. حبيبتي .. تذكّريني.

شحب لونها حتّى صارت كالشّبح. ارتعشت، ترنحت في مكانها، وانشغلت عن كلّ ما حولها فلم تسمع، ولم تر، ولم تشعر بشيء.. لم تر الدّكتور وقد خرج من الغرفة قائلا :

البقاء لله. لم تشعر بأمّها وهى تأخذها فى أحضانها باكية نادبة.. كانت غائبة بكلّ حواسّها .. تنظر مودّعة بعينين ملأتهما الدّموع لعصفور أخذ يرفرف فى الخارج ..عصفور أخضر جميل وكأنّه من عصافير الجنة .

obeikandl.com

بَقايا الأمسِ

بقلم: عبد السّلام هلالي

ركن سيّارته عند المدخل البحريّ للمدينة العتيقة، وترجّل يلاحق ذكرياتٍ استدرجته إلى الشّارع الرئيسيّ الذي لا زال يختنق بأنفاس مرتاديه، و تتزاحم عليه الخطوات كما تركه قبل عشر سنوات.

تغيرت ملامح وجوه، شاخ البعض، ورحل البعض الآخر؛ فاسحا المجال لوجوه جديدة أُلقي بها على هامش الحياة في دورة لا تنتهي . أصوات الباعة تصدح بكلّ أملها ، تنادي كسرة خبز صمّاء. تتنافس على استمالة الأسماع لتنفذ إلى الجيوب .

أفواج تتناسل، أجساد لا يفصل بعضها البعض سوى الثّياب. عيون هائمة تحاول استيعاب عناصر المشهد المكتظّ . أياد تقلّب السّلع مفتشة عن عيوبها للإفلات من حبال صاحبها، أو تقوية الموقف التّفاوضيّ، و أخرى تتلّمس الأجساد، تسترق متعة عابرة، وغيرها غاطسة في رحلة استكشاف لجيوب و حقائب شاردة.

تتعالى الأصوات أكثر فأكثر، يزداد الشّارع ازدحاما بسيول

obeikandi.com

بشريّة تتدفّق من كلّ الأزقّة الفرعيّة، ومعها تزداد سيول الذّاكرة دفقا وقوّة . تجرفه نحو أيّام كان أقسم أن يغتسل من غبارها، ويحرق ما بقي منها نسيانا.

خيّل إليه الفضاء من حوله بحرا، والعابرون أمواجا متلاطمة.. تاهت بوصلته، أحسّ بدوار وتعب، لم يقو على مواصلة المسير، ولا مجال للوقوف. التجأ إلى الرّصيف حيث يلقي الشّارع بالضعفاء ، وتتزاحم معروضات الباعة، وإلى جانبها أحلامهم وأجسادهم لتشكّل عناصر الفرجة. استند إلى جدار يحمي ظهره، فقد علّمته سنوات الشّقاء التي أمضاها في المكان أن لا يترك ظهره دون حماية، وأن أغلب الأخطار تأتي من الخلف.

طويتِ المسافات بين ماضيه وحاضره، حتّى لكأنّها البارحة، حين قرّر أن يتخلّص من صفة عاطل، ويعلي شأن يده. لم يتطلّب الأمر غير رزمة جوارب نسائيّة، بساط قديم، وصوت قويّ يبدأ يومه بعد العصر محتشما؛ ليصل أوج الحماسة قبيل المغيب، ثمّ يأخذ في الانحدار والتّقطّع استعدادًا للرّحيل. الصّوت في مثل هذه الأسواق رأسمال مهمّ ويصنع الفارق. من يصرخ أعلى يربح أكثر تماما كما في السّياسة ،ولا عجب ، فكلاهما سوق، وإن تفاوتت الأرباح.

ابتسم عندما تذكّر أوّل مرّة سمع تلك الجملة المستنفرة : " القايد جاي ..... القايد جاي " . فقد ترك البضاعة وأطلق ساقيه للرّيح؛ ليبقى مدّة طويلة عرضة للسّخرية من طرف الباعة.

تطلّب منه الأمر وقتا طويلا، وخسارات عديدة قبل أن يعتاد الكرّ والفرّ، ويتعرّف على قواعد السّوق ويتقن لعبة المساومة مع الزبائن و أعوان "القايد."

تذكّر آخر يوم له في المكان، حين اهتزّ هاتفه فرحا بقبوله النّهائي كأستاذ في إطار حملة لتوظيف أصحاب الشّواهد العليا.

باع بضاعته لأحد جيرانه من الباعة بنصف الثّمن، وانطلق دون أن يلتفت.

"القايد جاي .... القايد جاي " أفاقته الصّيحة من سفر الذّاكرة، أطلق ساقيه للرّيح، ولم يلتقط أنفاسه إلّا داخل سيارته.

*القايد : من رجال السلطة

obeikandl.com

الأحزان القديمة

بقلم: عمر الحجّار

- عودي أيا قرّة عيني..

أنا علاء الدّين التّعس، في ظهري آثار الشّوك الدامية، نفد الزّيت من مصباحي، ولا زلت أتعثّر في الظّلام.. ألبس الدّمقس ، أشرب بكؤوس الفضّة، أتّكئ على حشايا النّعام، ولكن ماذا يجديني والصّفقة كلّها منذ البداية خاسرة ؟

في وسط الصّحراء أخلع عباءتي، قناعي الأخير، ومازلت أناديك أيا قرّة عيني، لماذا تركتني فجأة ؟

قالوا إنّك عشقت بائسا حقيرا، شحّاذا كان على باب قصري.. عشقت قاطعا للطّرق، وإنّك تمضغين الصّبار.. عشقت المغربيّ العجوز. تعشقين الجميع عداي

ويلي! كأسي فارغة حتّى من المودّة، والصّمت كالجبل، وأنت طيف رائق كالنّجوم، نابض كتردّد الأنفاس، كالمدّ والجزر، ويلي منك!، وأنت بعيدة، ومن سهام الثّلج، ومن عيون المغاربة القاسية.

obeikandi.com

عندما انتفض المصباح بين أصابعي، كانت صرختك أنت، والملح في جوف المغارة يكون أشكالا غامضة تحمل نذير الوعد والمكتوب، وأنا أحكّ جدار المصباح المعدنيّ الصدئ بجنون المحرومين.. حذّرتني.. أدرك ذلك.. ضحكت لحظتها..يا بلهاء. من ذا يرفض قصر السلطان يرفض تاجه وصولجانه مهما كان الثمن؟! لم أكن مخطئا لهذه الدّرجة الرّهيبة .. ما يدريني أنّ العفن يرقد خلف كلّ شيء....وأنّ الأشياء البرّاقة دائما زائفة؟ ما يدريني أنّ اللّعبة لا تخصّني، وأنّني تعس كزهر الصّبار؟! بالأمس حاول الخدم سرقة عقود الياقوت والزّبرجد، وانتهزوا فرصة نومي، وأنا أحلم بك حلما قلقا، عندما علمت صمّت آذاهم .. كنت أخفي خلف خوفهم خوفي.. وخلف بكائهم بكائي، وأمّي العجوز تصرخ خلف النّوافذ أحضرت لها أعظم أطبّاء بغداد. كانت تغافل الجميع، وتبتلع قطع الذّهب وفصوص الماس. حاولت إفهامها أنّ كلّ شيء ملكنا، حقّنا المشروع.

- فلنحاول قليلا يا أمّي أن ننسى ذكرياتنا المرّة!

لكنّها ظلّت تغافل الجميع حتّى امتلأت معدتها..

وكان زيت المصباح يتناقص.. أيّامي التي مضت.. أيّامي القادمة، لحظاتي التي بعتها بثمن بخس، أيا قرّة عيني، ألم تكوني مخطئة

obeikandl.com

عندما ذهبت بعيدا إلى هذا الحدّ ؟...

كنت في حاجة ملحّة لكلمة منك .. تقولين عد، تقولين أطفئ ذبابة المصباح، انزع الأقنعة عن وجوه المغاربة، دع المغارات للخفافيش وعشّاق الظّلمة....لكنّك ضننت عليّ بالكلمة الأخيرة.

- يا مولاي .. بحثت عنها في كلّ مكان...

- هل أصابك العجز؟...

- فتّشت كلّ القبور

- هل أصابك العجز؟

-لكنّها يا مولاي.. يبدو أنّها تكرهك إلى حدّ كبير .. هناك أسوار لا أتخطّاها

- أيّها الجنّ الخائن

على القبر وضعت قبضة التّراب الأولى .. وضعت قبضة التّراب الأخيرة..

تذكّرت كم عاشت مسكينة وماتت مسكينة .. كانت تأخذني في أحضانها، تنزع بدفئها برودة الغابات اللّيليّة من عظامي. أحسست بالأشواك الدّامية في ظهري رغم الفراش الحريريّ... فقدت كلّ شئ.. أحسست بالعري والجوع..

obeikandl.com

خسرت كلّ شئ...أيّ شئ بقي ولم نبعه بعد؟...

على الصّخرة البعيدة في المكان نفسه.. كان المغربيّ العجوز جالسا يحدّق فيّ وانأ أخوض أحراش العظام النّخرة.

- أيّها المغربيّ الحكيم، ماذا لو ألغينا الصّفقة؟

- لا أريد بيعه أبدا...

- صفقة خاسرة.. روحي زائفة .. ضحك بصوت هادر واختفى .. وماذا كسبت أنا؟

مازلت وحدي في المسالك المجهولة. تركت القصور والعبيد والمصباح، لكنّني لم أبتعد كثيرا.. تحيط بي قبضة التّراب الصّلبة، تراقبني الوجوه المنهكة، تحدّق بيأس أحيانا، بشماتة أحيانا أخرى..عشرات الوجوه التي أعرفها .. أهل وأصدقاء وخلّان، كلّهم معلّقون فوق قمم الأشجار.. يموتون ببطء مرّ ..قالوا:

- خدعنا المغاربة.. أعطونا المصابيح وسلبونا كلّ شئ...

حاولت الهرب... أن أتفادى قدري الزّائف ...وعيون المغاربة تترصّدني من خلف التّلال.. وأنت يا قرّة عيني تركتني آخذ بشارات خلاصي، تركتني أقضي ديني الفادح وحدي.. أهتف باسمك، ولا أجد سوى الصّدى والموت.

obeikandi.com

عند مغرب الشمس

بقلم: سعاد محمود الأمين

يُعانِق المحيط الأطلسي البحر المتَوَسِط فتمتزج ألوانه عند المضيق. الحَدّ الفاصِل بَين الموت وشَهْوَةِ الحياةِ، حَيْثُ ترقُد المدينة الحُلُم، وَلَجْنا بوّابتها الواسعة، فتراءى لنا سوقها الكبير الذي يَشْرِف على منارة مسجد المدينة المزيّنة بِفُسَيْفِساء ذات ألوان. حشود مُخْتلفة مِن البشر كانوا يتدافعون بمناكبهم على عجل، وكُنْتُ أنظُر إلى البَدَوِيَات بِفُوَطِهِن المزركشة، وأزياء حمراء وبيضاء، وقبّعات مزيّنة بأنواع الثّمار، ورنين أجراسٍ نحاسِيّة لِسقاةٍ بِأَرْدِيةٍ بهتت ألوانها تفوح مِنها روائح التّوابل، وأريج الأطلسي ذي اللّيمون والنّعناع. كُنا نَمْشي علَى مهل نُثْري أحاسيسنا المبْهمةِ التي تبعْثرتْ خِلال الرّحلة الشّاقّة. بدأت رحلتنا مِن جنوب الصّحراء، كُنا أربعة، ركِبْنا فيها الصِّعاب بَحثًا عن حُلُمٍ يتراءى لنا، ويخْتفي عِنْد مُواجهتِنا أَهَوال مجاهل الغرب الأفريقيّ. سقط أحدُنا بَين عجلات القطار، حاول أن يَسْتجير بِسطح القِطار هارِبًا مِن مُفتِش التّذاكِر، زلّت قدماه وسقط، تبادلتهُ العجلات ذات البأس الشديد، لم نتبَيّنه، فتَولّى القِطار عنهُ، وتَولّت الصّحراء مراسِم الدّفْنِ. كان بِلوغ غايتِنا قاب قَوْسَين أو أدنى .

خَلّفَ هذا الحدث في دواخِلُنا حزنًا مقيمًا. لقد انتهت رحلته واندثر حلمه قبل أن يبدأ. ظلّ القطار ينهب الأرض نهبًا. لم يتوقّف إلّا عند بوّابة أحلامِنا، مدينة العبور.

مِن سطح بِنايةٍ أَثرِيّةٍ مُطِلّة علَى الميناء، وَقَفْنا نتأَمّلُ البواخِر المبحِرة إلى الجنوب الأوروبيّ. بِعَين الخيال، نرسُم لِحياتِنا جمالا ينتظرنا.. كُنا نتَشَوّق أن نُرسِل لِذَوِينا الذين حال بَيْننا وبَينهُمْ زَحْفنا المقدّس نَحَو العالم الحُرّ المتمدِّن. ما زالت المدينة الكتومة تحمل أسرار القادِمين، وتَحْتَضِن أجساد ذات سِحْنات مُختلفة وأَلْسُن تَمْهِم بِمُبْهمات. لم يكن بوسع المدينة أن تعلم مصير الحالمين فيها، وهُم يلِجون ويخرجون مِن بواباتِها العتيقة ذات الألوان، نَحَو غاياتٍ عصِيّة المنال.

عِنْدما حَلّ الظلام، وهَدأ صخب المكان، وتلاشى ضجيج حياة المدينة الحُلُم، وتسربلت الغابة بِكساء اللّيل الحالِك السّواد، وانتصبت أشجارها كحرّاسٍ غِلاظ شداد، تَسلَلْنا نحو الغابة الملاذ مسرعي الخُطَى، فدخلناها بخطوات حذِرة، كَمن يمشي على زُجاج، لا نريد أن تكشفنا عَين الرّقيب السّاهرة على حراسة السّياج الإلكتروني الفاصِل بين الحلم والواقع. كانت أغصان الأشجار تعترضنا وتصدّنا للخلف ويفضح تكسُرها مُرورنا. ، تبدّلت أصوات المدينة بِأُخرى، بحفيف الأشجار، ونقيق

الضّفادِع، وهسيس الحشرات؛ مكوّنة سيمْفونِية الغابة المرعِبة. كان الأمل يحدونا في نجاح تسلّلنا. ظللنا في الغابةِ نُسْرِع الخطى، ونختبئ منها وفيها ونَنْصت ثُمّ نعود ونسرِعُ.

كانت (ماجوري) قد هربت مِن بَيت أمها لِتُرافِقنا في رحلتنا المجهولة، كانت أكثرنا حرصًا على نجاح ليلتنا هذه. تُريد العُبور سريعًا لترسل لأمّها أخبارها. تذكّرت دجاجات أمّها اللاتي يَخْتَرِقْن سياج بيوت الجيران المصنوعة مِن الأعواد الخشبيّة، وسيقان الذّرة المشذّبة، والحقّ يُقال، كانت دِجاجات أُمّي يصدرن ضجيجًا، وينْثُرن فضلاتهنّ في أنحاء المكان، ويتقيّأن مخزون الحواصل في كل مبلغٍ يبلغونه.. في المراقد، في أواني الطّبخِ المبعثرة على الأرض، ممّا جعل أُمّي في شجار دائم مع جيرانها .

ابتسمت عندما تذكّرت ما تثيره أمّها دِفاعًا عن دجاجاتها. كانت تريدهنّ حرّات.. طليقات.. غير محبوسات في قفصٍ فتبدو لهنّ الحريّة وتسْتعصِم عنهُن وهُنّ ينْظُرن. همست لي (ماجوري) ضاحكة: نحن اليوم مثل دجاجات أمّي.. وقبل أن تُكْمِل ضحكتِها، سمعنا خطوات ثقيلة الإيقاع، وأضواء جعلتنا نفرّ متفرّقين في داخل الغابة مِن غَير هُدى، بعدها لم ألتقي ب (ماجوري) مرة أخرى، بعد أن نجحت في اختراق السياج.

لجأت ورفيقي لأحد الأكواخ البالية المنْتشرة في أطراف المدينة. كُنّا كمن ننتظر قادِما عبر ممرّات الأيّام. بعد أن أوشكت نقودنا على النّفاد، أصبح إيجاد عمل وضيع خيرًا مِن التّسوّلِ أمام المسجد ذي المنارة المزينة بِفُسَيْفِساء ذات الألوان، المحاط بكومة من البشر ذوى الحاجة والمتسولين، كنت كلّ صباحٍ أتّجه نحو أحد الأسواق الشّعبيّة بحافلات النقل، وأعمل حمّالاً وأساعد في مطعم، فأعود مساءً محمّلاً بالخبز والخضروات، وما جادت به قمامات الأسواق. كنّا نتحلّق ورفقاء الضّياع حول الطّنجرة التي تتصاعد منها رائحةٌ تزكم الأنوف، فننتشي وتسكت كلاب جوع بطوننا حتّى حين، نلقي بأجسادنا المنْهكة على حصيرة مهترئة، ونلتحف غِطاء بالكاد يقينا حشراتٍ وجُرذانا احتللنا بَيْتها، وكُنّا نتوسّد أحزاننا القديمة.. المقيمة في دواخِلنا المضطربة، يعلو شخيرنا وزفيرنا، وتهاجمنا الكوابيس المخيفة حتّى مطلع الفجر، حيث تفجر الشمس بأشعّتها ستر اللّيل .

يأتي الصّباح بضجيجه وينصب كيلاني، رفيق الضياع، مظلّة تقيه من الشّمس الحارقة، ويجلس وسط تلّ من الأحذية البالية التي عبرت الفيافي والشّنط الممزقة من التّرحال. كان يشرع في ترميمها حتّى المساء، يجمع بعض النقود لتعينه في محاولته القادمة للعبور بقوارب الموت.

كان مُنظِمو الرِّحلةِ يطلبون مبلغ الرحلة كاملاً غير منقوص.
بالرّغم من صعوبة جني المال، فقد نجح كيلاني في جمعها .
عندما مال قرص الشّمس للمغيب، وارتحل الصّيادون المصطافون، ونكّست صنّارات الصّيد وحملت الأسماك، ركب كيلانى القارب واستدار واختفى.. وما زال زبدُ قاربهِ الذي رحل فيه يصطدم برمال السّاحل مودّعًا، ويبعثر أصْدافها المختبئة في أحضانها الدّافئة.
اكْفهر الموج عِندما حلّ الظّلام، وعربد خلف القارب. قفلت راجعًا وأسراب النّورس تضرب بإيقاعاتها المتكرّرة صفحة المياه، كأنّها تريد أن تقول شيئا تشاركني به وحدتي وضياعي. التفتّ إلى السّاحل، ونظرت متأمّلاً تلك الظّلمة المنتشرة على سطح المياه، عسى أن أرى وجه صديقي على صفحتها للمرّة الأخيرة . أنا وأنت يا نورس شبيهان ليس لِمَدانا نهاية أو بداية.. كلّ يوم تشرق فينا شمس وتغرب، وتخبو من آفاقنا نجوم.
تابعت سيري متثاقل الخُطى إلى حَيْثُ الكوخ المتهالِك ذي الحشرات. ألقيت جسدي المنهك وأرخَيت جفوني المثقلة، تدثّرت أحزاني المتشابكة، وتوسّدت حُلُمي، وصب الدّمع مِن حَول المنال، وغفوت مظلومًا وظالِمًا بما آلت إليه أحوالي .

سلبني بعض المنحرِفين كُلّ ما أملك، بقِيّة مالي.. جواز سفري، ألقوا بي قرب السّاحل. كان ذلِك عند محاولتي الثّالثة للعبور، كنت خائفًا طوال الوقت من أن أصبح رقمًا في دفاتر الشّرطة.

ذات ليلة حالكة السّواد، والأكواخ تضمّ في أحشائها المشرّدين والمهاجرين ورفقاء الضّياع، والرّوائح النتنة تنبعث منها، كان اليأس قد بلغ بي آخره فصار الأرق يغشاني، وأنا في سنة مِن نَوم، سمعت صوتًا يهمس فى أذنى: انهض يا ابن أفريقيا وارحل من هذا المكان.. قد طال بك المقام.. عد إلى أفريقيا.. إلى أرضك السّمراء.. أرض أجدادك.. منذ متى لم تشتم عبير التّداني؟ منذ متى لم تسبح في قلبك ملائِكة التِحْنان انهض انهض.. ويزداد الصّوت قوّة.. فانتفضت فزعًا وقررت العَودة من حيث أتيت.

كان قطار العودة ينهب الأرض على عجل ويتوغل في الصّحراء، كنت أختلس النّظر متابعًا المتاهات، وأحيانًا متفرّسًا الوجوه حولي علّني أرى في قسماتهم وجوه مَن رحلوا مِن رِفاقي. أيقظني ضجيج الحياة في الغرب الإفريقيّ، فعادت كلّ الألوان.. كلّ اللّهجات التي اعتدتها.. وجدت نفسي الضّائعة، هرولت نحو العربة التي ستقلني إلى بلدي، وعادت الرّوائح وسحنات البشر التي أعرفها، لون أمّي وأخي. لاحت لي المباني المبنيّة من القشّ والأعواد وسيقان الذّرة التي تراصّت فاصِلة بَين البِيوت المتّكئة فى أمان، تظلّلها الأشجار

الضّخمة. صاح أحدهم: واه..واه.. جراهام أين كنت؟.. ألقى بجسده العاري على صدري الممزّق، وضمّني إليه بقوّة. كانت الأشواق تخرج وتلفّنا..كان الحبّ يتدفّق.. ذرف دمعة طفرت من مقلتيه، جاهد في إخفائها عنّي، وما استطاع. هرول دوني يسابق الرّيح ليخبر أهلي. لأوّل مرة أسمع اسمي الذي كدت أنساه، لم يناديني به أحد منذ رحيل رِفاقي. أحسست بأنّي قد عدت إنسانا.. كائنا.. ما عدت رقمًا تذروه الدّفاتر. تلاشت غربتي التي كانت تسيطر على كياني، واختفى خوفي الدّائم من المجهول. أنا اليوم بين أهلي.. بين أبناء جلدتي.. وسط ألوانٍ أعرف أسماءها.. كانت حروف اللّهجة تشجيني، كدت أن أشم كلّ حرف، نزعت رداء القهر .

جلست مع أبي ارتشف شايًا من الأعشاب، نظر إليّ مليّا، لم يعاتبني على فراري وتركي مقاعد الدّراسة، ثمّ ناولني صورة (أكادينو) رفيق المدرسة، وهو في أحد قاعات جامعة غربيّة. كان يرتدي بزّة سوداء وقميصا أبيض وكرفتة حمراء، قال لي: كنت أوّلهم، ولكنّه سبقك نحو الغرب وحقّق حلمه.. (أكادينو) يا بُنيّ نظر إلى زرقة السّماء محلقًا فيها، وأنت نظرت لزرقة المياه الغادرة أمواجها. الغرب يا بُنيّ يفتح أبوابه لِلعلم، يريد طالِب العلم، و لا يريد متسوّلين، عليك اللحاق به إن شئت. بُنيّ إنّ الإنسان يجد

نفسه في المكان الذي يوضع فيه، فتخيّر لنفسك مكانا يحفظ كرامتك. ارتشف أبي الشّاي دفعة واحدة، ووضع الكوب بقوّة على الأرض محدثا صوتًا، كأنّه يريد دفعي لفهم عباراته.

حملت دفاتري ومشيت مُسْتقيم الخُطى في ذلك الوادي المتعرج متسلّقًا الرّبوة تداعبها شجيرات الطّريق المنتشرة. لفّ جسدي نسيمٌ عليلٌ مِن عبق المطر المخلوط بالتّراب. لامس وجهي كأنّه يريد أن يغسل آلامي.. كانت رائحة الأرض المكسوّة بالخضرة قد أزالت روائح المدينة الكتومة من توابل ونعناع، وحيثما ألتفت أجد أبناء جلدتي، شعرت بالانتماء وزالت تلك المخاوف المبهمة. لاح باب معهدي الذي تركت مقاعده فارّا إلى المجهول. نظرت إلى زرقة السّماء المتّشحة بسحاب أبيض منتشر على صفحتها كالحملان ترعى في واد خصيب، تقدّمت بخطواتي الثّابتة ودلفت. كنت أردّد في دواخلي: الغرب يفتح فراديسه لطالب العلم.

obeikandi.com

ضوضاء

بقلم: وليد عارف الرّشيد

كَانَ أَمْرًا اعْتِيَادِيًّا فِي حَيِّنَا أَنْ تَصْدُرَ بَيْنَ الْحِينِ وَالْآخرِ أَصْوَاتٌ مُزْعِجَةٌ مِنْ بَيْتِ سِيَادَتِهِ، وَدُونَ أَنْ يَكُونَ لِحُرْمَةِ الْمَكَانِ وَالزَّمَانِ وَالأَشْخَاصِ أَيَّةُ قِيمَةٍ تُذْكَر .

فَتَارَةً كَانَ صِيَاحًا دَاخِلِيًّا، مَجْهُولَ الأَسْبَابِ وَالْمُسَبِّبِينَ، وَتَارَةً صُرَاخًا مُوَجَّهًا إِلَى الْخَدَمِ وَالْحَشَمِ ...وَغَالِبًا كَانَ تَأْنِيبًا شَدِيدَ اللَهْجَةِ (بِعِبَارَاتِ دَاخِلَ أَقْوَاسٍ) لِلْمُرَافِقِينَ، الَّذِينَ كَانَ مَوْقِعُهُمْ فِي مَدْخَلِ الْبِنَاءِ. وَقَدْ آنَسْنَا هذا وَتَقَبَّلْنَاهُ مَعَ مُرُورِ الْوَقْتِ كَأَمْرٍ وَاقِعٍ (وَكَأَنَّ بِيَدِنَا أَلَّا نَفْعَل !!!)، رَاضِينَ بِمَا قَدَّرَ الله.

أَمَّا الْيَوْمَ، فَقَدْ كَانَ اسْتِثْنَائِيًّا بِكُلِّ الْمَعَايِيرِ. فَالتَّارِيخُ يُشِيرُ لِإحْدَى لَيَالِي رَمَضَانَ، وَالْوَقْتُ بُعَيْدَ السُّحُور، وَقَدْ أَمَّ الْجَمِيعُ فُرُشَهَمْ أَوْ كَادُوا؛ لِيَنَالُوا قِسطًا مِنَ النَّوْمِ قَبْلَ تَوَجُّهِ كُلٍّ مِنْهُمْ إِلَى مَيْدَانِ خِدْمَتِه. وَحَتَّى سَبَبُ الضَّوْضَاءِ الْيَوْمَ كَانَ مُخْتَلِفًا، فَمَصْدَرُهَا كَانَ مِنْ شُرْفَةِ بَيْتِ سِيَادَتِهِ، وَمُصَدِّرُهَا كَانَ مُدَلَّل

الْبَيْتِ الَّذِي لَمْ يَتَجَاوَزْ الثَّالِثَة مِنْ عُمُرِه. فَقَدِ انْفَجَرَ بِالْبُكَاءِ، وَبِسَفَهٍ قَلَّ نَظِيرُهُ .

خَرَجَ الْجَمِيعُ يَسْتَطْلِعُونَ الْأَمْرَ، ثُمَّ يَنْتَظِرُونَ إِيذَانًا مِنْ سُمُوِّهِ بِأَنْ يَمُنَّ عَلَيْهِمْ بِالنَّوْمِ، وَهُوَ يَأْبَى، وَيَعْلُو زَعِيقُهُ .. وَهُمْ (وَمَعَهَمْ نَحْنُ بِالطَّبْعِ) عَلَى جَمْرِ الانْتِظَارِ وَالْمَرَارَةِ يَصْطَلُون!...

وَلُوحِظَتْ فِي الْأَثْنَاءِ حَرَكَةٌ دَؤُوبَةٌ غَيْرُ اعْتِيَادِيَّةٍ فِي مَبْنَى سِيادَتِه. فَكُلُّ طَاقَمِهِ اسْتَنْفَرَ، وَهَبَّ لِمَدِّ يَدِ الْعَوْنِ وَلَكِنْ هَيْهَات .

ثُمَّ ظَهَرَتْ مُفَاجَأَةٌ لَمْ تَكُنْ بِالْحُسْبَانِ صَدَمَتِ الْجَمِيعَ.! فَقَدْ شَاهَدَ أَغْلَبُ الْقَوْمِ رَجُلًا يَرْتَدِي ثَوْبَ النَوْمِ (الروب)، وَهُوَ يَحْمِلُ الطِّفْلَ يُهَدْهِدُهُ قَاطِعًا الشُّرْفَةَ الْوَاسِعَةَ جِيئَةً وَذَهَابًا ..

نَعَمْ .. لَعَمْرِي هُوَ! بَلْ أُقْسِمُ إِنَّهُ هُوَ بِجَلَالَةِ قَدْرِهِ! سِيادَتُهُ (بِلَحْمِهِ وَشَحْمِه) هُوَ مَنْ يَتَوَلَّى أَمْرَ الطِّفْلِ، وَقَدْ كُنَّا لَا نَكَادُ نُشَاهِدُ سِيادَتَهُ إِلَّا قَلِيلًا عَبْرَ وَسَائِلِ الْإِعْلَامِ، وَنَادِرًا، عِنْدَمَا يَخْرُجُ أَوْ يَدْخُلُ سَيَّارَتَهُ بِحِمَايَةِ جَمْهَرَةٍ مِنْ الْعَضَلَاتِ الْمَفْتُولَةِ، فَنَلْمَحُ طَيْفَهُ مِنْ بَيْنِ الْجُمُوعِ . لكِنَّنَا الْيَوْمَ نُشَاهِدُهُ مُبَاشَرَةً وَدُونَ حَوَاجِز بَشَرِيَّةٍ أَوْ آلِيَّة. نَعَمْ. وَقَدْ أَقْلَقَهُ بُكَاءُ طِفْلِهِ الْمُعْجِزَة، حَتَّى تَفَتَّقَ ذِهْنُ سِيادَتِهِ الْأَلْمَعِيِّ عَنْ فِكْرَةٍ جهَنَّمِيَّةٍ , يُسْكِتُ بِهَا سَيِّدَنَا الصَّغِير! .

أَثْنَاءَ هذِهِ التَّطَوُّرَاتِ، كَانَ يُمْكِنُ وَبِوُضُوحٍ مُلَاحَظَةَ الْكَمِّ الْكَبِيرِ

مِنَ الإِرْهَاقِ وَالنُّعَاسِ وَالتَّمَلْمُلِ فِي وُجُوهِ الْقَوْمِ الْمُنْتَشِرِينَ عَلَى الأَسْطِحَةِ وَالشُّرُفَاتِ. وَقَدْ كَانَ الظَّلَامُ قَدْ شَرَعَ بِالرَّحِيلِ، وَبَدَأَ قُرْصُ الشَّمْسِ يُهَيِّئُ إِطْلَالَتَهُ، وَكُنْتُ لِأَسْتَطِيعَ أَنْ أُقَدِّرَ حَجْمَ الآمَالِ وَالأُمْنِيَاتِ فِي وُجُوهِهِمْ بِتَوَقُّفِ الطِّفْلِ المُنْفَجِرِ عَنْ البُّكَاءِ. وَلَقَدْ سَمِعْتُ جَارَنَا فِي الشِّقَّةِ المجَاوِرَةِ، ذَلِكَ الرَّجُلَ المسِنَّ المتَدَيِّنَ الهَادِئَ، وَهُوَ يَجْأَرُ بِالدُّعَاءِ: " اللهُمَّ هَدِّئْ مِنْ رَوْعِهِ .. وَعَافِهِ .. وَامْنَحْهُ الرَّاحَةَ وَالسَّكِينَةَ وَالرِّضَا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ " وَالكُلُّ يُؤَمِّنُ خَلْفَه..!

لكِنَّ سِيَادَتَهُ أَبَى إِلَّا أَنْ يَحُلَّ المشْكِلَةَ بِطَرِيقَتِهِ الخَاصَّةَ المبْتَكَرَة ..! فَأَمْسَكَ بِمَفَاتِيحِ سَيَّارَتِهِ الفَخْمَةِ، وَأخَذَ يُوَجِّهُ جِهَازَ التَّحَكُّمِ عَلَيْهَا، وَيُشَغِّلُ أَجْهِزَةَ الإِنْذَارِ ذَاتَ الأَصْوَاتِ الَّتِي تَكَادُ تُوقِظُ أَهْلَ القُبُورِ..!! ثُمَّ يُوَجِّهُ فِلْذَةَ كَبِدِهِ الموَقَّرَ لِيُشَاهِدَ وَيَسْمَعَ وَيَأْنَسَ وَيَلْهُو .. فَيَصْمُتَ الوَلَدُ، فَيُخْرِسُ الأَبُ سَيَّارَتَه، فَلَا يَلْبَثُ أَنْ يَعُودَ الطِّفْلُ لِلْبُكَاءِ وَعَلَى مَوْجَةٍ صَوْتِيَّةٍ أَعْلَى، فَيَعُودَ الأَبُ الْحَنُونُ العَطُوفُ لِمِثْلِ مَا بَدَأَ بِه، وَالْكُلُّ يُرَاقِبُ فَاغِرًا فَمَهُ، وَيَدْعُو وَ... (وَلكِنْ كلٌّ بِقَرَارَةِ نَفْسِهِ طَبْعًا)..

اسْتَمَرَّتِ الأَحْدَاثُ العَجِيبَةُ هذِهِ، حَتَّى جَاءَ الفَرَجُ وَالْحَلُّ الدَّائِمُ النَّاجِعُ بَعْدَ مَا يَرْبُو عَلَى سَاعَتَيْنِ مِنْ المعَانَاةِ الجَمَاعِيَّةِ، حِينَ لَمْ

يَعُدْ هُنَاكَ مُتَّسَعٌ لِتَجَرُّعِ النَّوْمِ وَالرَّاحَةِ . فَهَا هِيَ سيارةٌ فارهةٌ تَصِلُ إِلَى الْمَكَانِ، وَخَرَجَتْ مِنْهَا سَيِّدَةُ الْبَيْتِ الْمَصُونُ وَبَعْضُ صَحْبٍ بِرِفْقَتِهَا.. نَعَمْ .. لَقَدْ وَصَلَتْ وَوَصَلَ مَعَهَا الْفَرَجُ، وَالْمُشْكِلَةُ حُلَّتْ نِهَائِيًّا بِقُدُومِهَا المبَارَكِ الْمَيْمُون!

تَنَاهَى إِلَى أَسْمَاعِنَا فِيمَا بَعْدُ أَنَّ السَّيِّدَةَ الفَاضِلَةَ كَانَتْ فِي مَأْدُبَةِ سحُورٍ رَسْمِيَّةٍ عَلَى هَامِشِ مُؤْتَمَرٍ تَرْعَاهُ سِيَادَتُهَا، وَأَعْتَقِدُ أَنَّنِي كُنْتُ قَدْ قَرَأْتُ شَيْئًا عَنْ هذَا المؤْتَمَرِ مِنْ خِلَالِ اللَّافِتَاتِ الَّتِي تَوَزَّعَتْ فِي أَرْجَاءِ المدِينَةِ، وَالَّذِي انْعَقَدَ تَحْتَ شِعَار : " الْقَضَاءُ عَلَى الضَّوْضَاءِ , جُزْءٌ مِنَ الحِفَاظِ عَلَى الْبِيْئَة!"

الفاجعة

بقلم: براءة الجودي

صفع الباب بقوة ودلف الفيلا يركض وهو يحمل في جعبته الفاجعة. نادى ماجد بصوت يهزّه الأسى : أمّاه والدي مات ، مات. رجّت هذه الكلمة في أرجاء المنزل، وتضخّمت لترتطم بجدران الصّالة، فترتدُّ على أسماعهم مرَّات ومرَّات.. تسمّرت هندٌ في مكانها، وياسرٌ فاغرٌ فاه، وسديمٌ لم يتحرّك فيها ساكن وهي تجلس على تلك الأريكة المرقّشة، بل كانت تنظر بجمودٍ وترقُّبٍ.

أمّا الأمّ، فقد اتّسعت حدقتاها وهي تردّد باحتساب : إنا لله وإنا إليه راجعون اللهم أجرني في مصيبتي واخلف لي خيرا منها ".

ما الذي حصل بالضّبط يا ماجد؟ اهدأ واشرح لي.

– لم يكن هناك شيء جديد.. السّرطان هو السّرطان يستشري في جسد الإنسان حتّى يقضي عليه. كان بصحّة جيّدة، يبتسم ويتحدّث معي، وفجأة أغمض عينيه وانقلب ناحية اليمين.

ارتبكتُ فهززته، ولكنّه لم يتحرك. أسرعت بين أروقة المشفى أنادي الطّبيب "أيمن كمال"، فقدم معي نحو سريره في الحجرة بالعليَّة، ومعه مايلزم للكشف. قلَب والدي وبدون عناء أخذ

يتحسَّس نبضه، وهو يهزّ رأسه بصمت أن لاجدوى.. فقد حياته – رحمه الله رحمة واسعة –. تلقّيت الخبر منه، وكنتُ على رجاءٍ أنّه مازال حيًّا، فوقع قوله في قلبي ثقيلا حتّى أضحيتُ كمن ينازع سكرات الموت . عمومًا سيكون الدّفن بعد العصر، ولم يتبق سوى ساعتين على الآذان.

أسرعت هند لجلب عباءتها، وياسر يبحث عن فردة حذائه بذهن مشتّت، وأمّهم تحاول الصّمود، والدّمعة تخذلها. خرج الجميع عدا سديم.. مرّت هند من جانبها، ولوت رأسها قائلة بعتاب : أعديمة الإحساس أنتِ ؟ ألن تريه معنا قومي يا..

– بترت عبارتها بصوت مرتفع قليلا : لاأستطيع ذلك ، اذهبي أنتِ (قالتها بملل)

– ستندمين لاحقا.

انطلقوا بالسّيارة إلى المشفى حتّى ينقلوه إلى المغسلة. بعد رؤيته وسديم ولجت الغرفة تجرُّ خطاها، وكأنّ هموم الدّنيا تكالبت لتجندلها وتثقل حركتها. شعرت بحرارة صادرة من جسدها، والدّمع يعانق شفتيها، حتّى أمست تطوي الوقت في أنين، ويتلاطم موج الحنين محوملامحه، وصورته العالقة في الذّاكرة كلوحة أتقنها، وأبدع بها أفضل فنّان لأمر محال.

obeikandl.com

المشاعر متضاربة، والأحاسيس تتكدَّس داخلها متنازعة.. سقطت منهارة تبكيه. مرَّ الشريط سريعا لما سمعته وشاهدته من ذكرى والدها " حمود التّميمي"، الأب الذي عانى طوال حياته وعاش يتيما، طفلا بعقل الكبار. كرَّس حياته في العمل، واعتمد على نفسه في جميع شؤونه، وتعرَّض لمواقف مخزية وأحداث ذُلَّ فيها كبرياء الرّجل، لكنَّ الحياة علّمته التّصرّف بحكمة.. تزوّج من ابنة عمّه، وكان يدير عددا من الشّركات، إضافة إلى ما يملكه من العقارات، حيث أصبح تاجرا يشار إليه بالبنان. لَكَم ساعد الكثير ممّن حوله أقاربه، أصحابه، وأناسا أُخَر.

التفّ حوله الجميع ليملأوا بطونهم، ونظراتهم الجشعة تطمع في المزيد من أمواله الطّائلة. احتالوا، سرقوا، وهو كأنّما اتّخذ هذه الآية شعارا له : " فمن عفا وأصلح فأجره على الله"، حتّى إذا خسر جُلَّ أمواله وأنهكه المرض وتراكمت على جسده أتعابُ السنين، تلاعبت الأفاعي حوله، وتظافرت عليه الدّيون. حينها تخلّى عنه الجميع كما لم يكن يوما ما ملكا يحيطه خدم وحشم يعملون تحت إمرته، وإن أتت فرصة لانتكاسته خذلوه وتشفوا به. الشّماتة من الاقرباء كمن يمسك قطعة حديد يعرضها للنار ويضعها على جلدك مستعرة، حينها كيف سيكون مقدار ألمك ؟

والأدهى والأمرَّ، أن تلقى الجرأة والتّمادي من أبنائك حتى ينهال عليهم سوط النّدم الذي يوقظ حسهم بعد مماته، فعرفوا كم هم حمقى عندما جلسوا على أرجاس الحسّاد، واستمعوا لهم بآذان صاغية. سيبكونك اليوم وينسونك غدا تحت وطأة المشاغل وصخب الحياة.

ردّدت بعينين تفيضين بالشّجن : إن رأيتك كما فعلوا ستزيد أطنان الألم بداخلي.. حبّك ألم..موتك ألم.. ذكراك ألم.. عيشي بعد موتك ألم.. الحياة برمّتها معاناة لذواتنا الإنسانيّة الخرقاء.

شرعت تشهق وتعضّ شفتيها بحسرة : أبتاه، ما أنا إلا دمية بين يديك. افعل بي ما تشاء. اذبحني، اسلخني، اضربني بأقصى قوّة لديك، خذني للقبر بدلا عنك، رحمك الله، افعل بي ماتريد، فأنا رهن إشارتك أحبك.. كلاَّ بل أفديك بكلّ كياني. فقط عُد، عد كما كنتَ.

كانت تتساءل بحاجبين مرتجفين وشفاه مرتعشة : هل حبّ أسرتك والتضحية تنقلب ضدك؟ أم أنّكَ لم تضع التّضحية في مكانها الصّحيح " أبي" ؟

ماأقسى العالم، وما أغبى البشر!

فرَّ منها الذّهول، وماتت آخر دمعة على شاطئ أحزانها الذي دنّسته الجراح، ووقعت في شرك اللامبالاة المعتادة. قهقهت وهي تصفع رخام الغرفة بكفّها، وكأنّما أصابها ضرب من الهذيان.

علا صوت الآذان ليعلن أن صلاة العصر قد حانت. وصل أهلها، ترجّلت منيرة وابنتها هند من السّيارة، ودخلتا البيت. توجّه الأبناء نحو المسجد للصّلاة، اتّجه الجميع نحو المقبرة، حيث حضر جمع غفير لتشييع جنازته.

حمل ماجد وياسر والدهما ليضعاه بيديهما في الحفرة الضّيقة، منزل الإنسان وموطنه الذي خُلق منه. فكّوا الأربطة منه، وسدّوا عليه في لحده بلبنات ثم أهالوا عليه التّراب، وهما يدعوان لوالدهما بالثّبات، فالآن يُسأل.

يا الله! كم هو شعور صعب على الإنسان عندما يضع شخصا عزيزا عليه في حفرة ضيقة، ثمّ يهيل عليه التّراب بيديه، وماء عينيه يروي الأرض، فتنمو نباتات صحراوية تقبع في وحدتها المريرة.

هكذا تماما ينمو الحزن ويترعرع في صدورنا.. فما إن يأتي سيل الفرحة الجارف، ويقتلعه حتّى تُلقي النوائب بذرتها مرة أخرى في القلب، نسقيها بالبكاء فيكبر الأسى، حيث تمتدُّ جذوره ملتفّة حول عروقنا تتشبّث بقوّة، وتسير حيث سار الدّم بجميع

اتجاهات الجسد، فيصعب نزعها ونمارس حينها طقوس الأشجان
– بهذا كان يحدَّث ياسرٌ نفسه.

توافد المعزّون إلى الدّار، فالرّجال مابين داخل وخارج، والنّساء تتفاوت ملامحهن مابين متجلّدة وصامتة، وأخرى متأثّرة دامعة، وثالثة مستمتعة برشف القهوة ساهية. ومن بينهنّ امرأة تصطنع الشّفقة، حينما رأت سديم حركت رأسها متباكية : المسكينة يتيمة!

قذفت إليها سديم نظرة ماقتة وتمتمت: إذا اختلطت دموع في خدود تبيَّن من بكى ممّن تباكى. ثمّ رفعت صوتها بثبات : لابأس، نبيّ الأمّة محمد صلّى الله عليه وسلّم كان يتيما.

استدارت ناحية المطبخ، وهي تسخر من امرأة عمّها البغيضة.

فتحتِ النّافذة لتنتعش رئتاها بقليل من الهواء العابر، فإذا بالشّفق يحمرّ وتتوارى الشمس في المغيب إلى ما وراء الكون ترحل..

فتقذف في الفؤاد حسّا غريبا، وصمتا مميتا وضجيج نبض أحمق.

obeikandl.com

تحرّر

بقلم: فتحي العابد

منذ ثمانية أعوام كان حفل تخرّجه على شاطئ رمليّ وديع.. لكنّه اكتفى بمراقبة ألوان الأفراح من بعيد.. أذهلته المخلوقات الصّغيرة، وهي تقود السّيارات العظيمة وتنزلق من الرقابة.. ضحك في سرّه ثمّ ترك السّرب، وراح يغازل نحلة تغرس رأسها في عمق تويج وردة ربيعيّة.

في الزّاوية، وضع مجموعة حصائر ملوّنة بهر بها تجار السّوق الذين يحاولون تسويق بضائعهم الرّديئة، فأثار حسدهم وغضبهم .

لم يكن عبد الإله يأبه لترويج بضاعته؛ لأنّه انصرف كليّا إلى الاهتمام بفنّه.. تنقّل بين الأحياء واشتهر بجدّه في إقناع النّاس أنّ عيدان الحصائر عصيّة.. ويمكن أن يصنع منها أشياء أخرى غير الحصائر.. وكان همّه الوحيد أن ينزع السّجاد المستورد الذي ملأ كلّ الأماكن في السّوق، وفرش تحت أقدام المارّين على الجراح.. كما أنّه لم يعد يتحمّل منظره، ولونه الذي بهت..

هدأ تجّار الزّرابي، عندما اطمأنّوا إلى أنّه لم يكن يطمح إلى

اكتساح الأسواق بحصائره التي تحمل علامة تجاريّة محليّة، وتباع بسعر لا يمكن لها أن تنافس أسعار زرابيّهم المستوردة.. وزيادة في الاطمئنان، وحرصا على عدم تنقّله المستمرّ بين الأسواق، ملؤوا جيوب السّيّد المكّاس بالنّقود.. ودفعوه كي يطعن عبد الإله بسكّين مسمومة في ساقه، ممّا اضطره إلى قطعها.. وبهدوء تامّ بدأ عبد الإله يراقب عمليّة قطع رجله، وكأنّها تقع لشخص آخر..

قال في نفسه: الحمد لله ما زلت قادرا على الكلام.

وبالرغم من التّخدير الموضعي، يحسّ بصرير المنشار على ساقه، لكنّه تحمّل الألم: الحمد الله فما زلت قادرا على ربط الأعواد..

لم يكن في السوق سوى مجموعة صغيرة من الحرفيّين يقدّرون موهبة عبد الإله..

اجتمعوا ذات ليلة وقرّروا أن يفتتحوا له مدرسة يديرها لتعليم فنّ حرفة العصيان.. بعد فترة وجيزة، غزت الاحتجاجات، وكلّ ألوان العصيان الأسواق، وبدأ الكساد يجتاح تجارتهم الهشّة.

شيخ التّجار يكره العصيان، لذلك قرّر أن يقوم بحملة تجمعيّة إعلاميّة تدعو النّاس إلى الحفاظ على الهدوء، وتبتعد عن كلّ ألوان العصيان المشينة، والمضرّة.

وبما أن عبد الإله لم يكن قادرا على مجابهة المكّاس، قرّر شيئا غريبا

أيضا: لصق جفني عينه اليسرى وقطع سبّابة يده اليمنى، وجعل يتجول صباحا في أسواق المدينة، ممّا أرهق السّيّد المكّاس، الذي أشاع بين التّجار أن عبد الإله يتعامل مع الشّياطين: انظروا إليه.. إنّه يغمز بعينه اليسرى، ويشهر إصبعه الوسطى باتجاهكم..

في نفس الزاوية، اجتمع السّيّد المكّاس وشيخ التجار وقرّرا فعل شيء ما لمواجهته.

قال المكاس: لا بدّ من نفيه.

لكنّ شيخ التّجار كان أكثر حزما: سنجري له عمليّة.

وتساءل الجميع: هل نقطع يده الأخرى.. لسانه.. ساقه الأخرى..؟

- لا.. لا.. لابدّ أن نكويه بالنّار؛ لنخرج من دماغه المنطقه التي تغذّي ذاكرة العصيان فيه لنرتاح!..

ربطوه بعربة تجرّها الكلاب.. باتجاه المسلخ، وهناك مدّدوه، وباستعجال شديد أحرقوه.. ليستأصلوا منه الذّاكرة العصيانيّة، وكلّ ألوان التّذمّر.. لكنّ الذي أذهل الحاضرين أنّ ابتسامة عبد الإله السّاحرة لم تفارق شفتيه ..

توقّف الطبّال عن القرع.. ارتجفت أيدي المصفّقين للعمليّة.. ووجموا.

وقف النّاس في الزّاوية نفسها،لاحظوا اختفاء بقايا عبد الإله.. في منتصف النهار، جمع شيخ التّجار النّاس وسط السّوق، وقف على منصّة عالية وإلى جانبه السّيّد المكّاس.

صرخ منادي السوق: أين عبد الإله؟

تعالت أصوات الجموع: هنا.. هنا..

صرخ المنادي ثانية: من عبد الإله؟

صاح الشّباب والرّجال دفعة واحدة: أنا.. أنا..

لم يدم الاجتماع طويلا.. هبّت ريح عاتية.. اقتلعت المنصّة من مكانها.. أبرقت السّماء وأرعدت ..وقبل أن يأتي المساء، كانت الأمطار الغزيرة قد غسلت ساحة المدينة.. وطهّرت أعواد الحصائر الزّاهية من جديد، مبتدئة من محطّة بوزيد، مارّة بشارع عبد الإله حتّى الطّرف الثّاني من المدينة..

دهش الحضور من سرعة ما يحدث حواليهم.. لكن، لم يندهش، لا المكّاس ولا شيخ التّجار.. فهم قد وضعوا قاطني هذه الصحاري منذ زمن على رفوف الإهمال.. لأنّهم لم يدركوا بعد لغة الرّمال.. ككثير آخرين لم يستطيعوا فكّ رموز الصّحراء المتشابكة كخيوط العنكبوت.

عقوق

بقلم: حمادي بلخشين

حالما بلغه خبر انتحار محمود مروان، أجهش الدّكتور سامى عمارة بالبكاء.. لم يبال بوجود زوجته إلى جانبه.

حين هدأ قليلا قال وهو يمسح دمعة :

. سبحان الله.. انتحار عمّ محمود كان آخر ما كنت أتوقّعه.

لم يكد يكمل جملته حتّى انخرط في نوبة بكاء جديدة.

. لا تنس أنّه مجرّد نزيل عندك.. لا اعتقد أنّك بكيت والدك بمثل هذه الحرارة.

هكذا علّقت زوجته.. لم يجب بشيء، فحين مات والده لم يبكه أصلا!.. كان والده شديد التّحفّظ، وكان الحبّ أصعب ما كان يستطيع إسباغه على الآخرين، كما كان أصعب ما كان يمكنه التّعبيرعنه. لأجل ذلك، ظلّت علاقته بوالده رسميّة جدّا. حتّى إنّه حين سار وراء جنازته، لم يجد أيّ شعور مغاير عن الشّعور الذي وجده أثناء تشييعه جنازة مديره !

الأمر يختلف مع محمود مروان أو عم محمود، الرّجل العاطفيّ

obeikandi.com

الذي يفيض حبّا و حنانا من كلّ جوانبه.. عم محمود هو الذي حمله في مناسبات عديدة على طبع قبلات على رأس والدته..

كان عم محمود يستحلفه في كلّ مرّة يجالسه فيها بأن يفعل ذلك:

"بلّغ سلامي إلى السيّدة الوالدة ."

ثمّ، بلهجته الودودة، وهو يطبع قبلة على رأسه:

"بجاه ربيّ بلّغها هذه القبلة نيابة عني" ...

وحين كان يغادره:

"أستحلفك بالله ثانية، لا تنس أن تقبّلها.. سأسأل الوالدة حين ألقاها".

كان يردّ عليه ممازحا:

. يا سيدّي تزوّجها ثم بلّغها بنفسك كلّ هذه القبلات!

كان عمّ محمود لا يعلّق بشيء سوى الضحك .

توصيات عم محمود وحدها، هي التي استطاعت إخراج الدّكتور سامي عمارة عن البرود العاطفيّ الذي ورثه عن والده .

بعد قبلات تكلّفيّة قليلة، تمكّن الدّكتور سامي عمارة، وبكلّ تلقائيّة و حماس، من طبع قبلة صباحيّة على رأس الوالدة.. ظلّ

هكذا لمدّة سنتين كاملتين سبقتا وفاتها. لأجل ذلك، كان يشعر بكثير من الامتنان و العرفان لعم محمود، كلّما تذكّر سعادة الفقيدة بتلك الهدايا الصّباحيّة التي لا تعوّض.

عم محمود هو الذي استطاع بفضل حنانه الأبويّ، وما تفيضه شخصيّته المرحة من حبّ للحياة وقدرة على تجشّم متاعبها، من إخراج الدّكتور سامي عمارة من فترة اليأس والاكتئاب التي أعقبت وفاة زوجته الحبيبة إثر حادث مرور. لأجل ذلك، كان الدّكتورسامي عمارة يتألم كثيرا، حتّى وهو خارج العمل، كلّما تذكّر النّهاية المأساوية التي يحياها رجل حنون و عاطفيّ و احتفاليّ مثل عم محمود...

كلّما حكى الدكتور سامي عمارة عن عم محمود و شخصيّته الدّافئة الى أحد أصدقائه، كان يصله نفس التّعليق:
"خسارة ... رجل مثل هذا لا يستحقّ مصيرا كالذي يحياه ."
حين التقط الدّكتور سامي عمارة فنجان القهوة المهجور، وجده باردا مثل جثّة. تذكّر أنّه قد تناول منه رشفة واحدة. كان قد همّ بارتشافه ثانية، حين رنّ هاتفه الجوّال ليحمل إليه نعي عم محمود

... قبل مغادرة البيت، طبع الدّكتور سامي عمارة قبلة باردة على خدّ زوجته، وهو يقول بما يشبه التّبرير:

. لا بدّ أن أقوم بزيارة ميدانيّة لأتعرّف على بعض تفاصيل الحادث .

قبل وصوله إلى "مؤسّسة حنان لرعاية العجز"... وجد الدّكتور سامي عمارة الوقت الكافي، لجعل شريط الذّكريات يمرّ أمامه..

لقد كان عم محمود أوّل نزيل حلّ بمؤسسته الخيريّة التي افتتحت منذ عشر سنوات.. تعلّق به منذ اليوم الأوّل، كان يسمّيه "أبا المعارف"، كان عم محمود رجلا واسع الثّقافة والاطلاع، كما كان مبعث سرور جميع النّزلاء، كثيرا ما وجدهم يحيطون به كأطفال صغار، وهو يقرأ عليهم قصصا شعبيّة من تأليف عبد العزيز العروي، أو أبياتا شعريّة من نظم الأديب السّاحر حسين الجزيري.

"لن تخسروا شيئا إذا ضحكتم.. بالقهقهة تستطيعون مواجهة متاعب الحياة، مهما كانت قسوتها."

هكذا كان عم محمود يوصيهم... استطاع عم محمود إخراج بعض النّزلاء من عزلتهم، وجعل الحياة أكثر قابليّة للتّحمّل .

مأساويّة الأحداث التي مرّت بعم محمود، لم تفقده مرحه ولا حبّه للحياة. " ربّي كبير" كانت لازمته الأثيرة التي لا يكلّ عن ترديدها

بين الحين والحين، خصوصا إزاء ما يحكى له من قصص العقوق و نكران الجميل .

لأول مرّة، و حين أطلعه عم محمود على قصّته، وجد الدّكتور سامي عمارة نفسه يبكي بين يديه إشفاقا و رحمة كأيّ طفل صغير... كان عم محمود يودّع آخر سنة دراسيّة من جملة واحد و أربعين سنة قضاها على التّوالي مدرّسا،ثمّ مديرا ثمّ متفقّدا للتّعليم الابتدائي، حين حدث الزّلزال الذي دمّر حياته... كان من المفروض أن يكرّم عم محمود بعد واحد وأربعين سنة من الجهود المضنية في صناعة أجيال المستقبل... لكنّ تكريمه من قبل العصابة الحاكمة في تونس اتّخذ شكلا آخر .

"كنت أتهيّأ لفترة تقاعد أصرفها بين الاهتمام بزوجتي المقعدة، و زيارة أحفادي وقراءة بعض الكتب التي لم أجد وقتا للاطّلاع عليها، حين داهمني تسونامي حكوميّ قلب حياتي رأسا على عقب... لم أتخيّل قطّ أنّ التّصدّق بعشرة دنانير على عائلة سجين. يمكن أن تحطّم حياة، وتهدم أسرة، و تقلب كيانا..." هكذا استهلّ عم محمود سرد مأساته.

...بعد جلسات طويلة ومتعددة، عرف الدّكتور سامي عمارة

قصّة عم محمود كاملة... حين اعتقل عم محمود، كانت تهمته جمع تبرّعات غير مرخّصة، وعند انتهاء التّحقيق معه، أصبحت تهمته التّآمر على أمن الدّولة، و الانتماء إلى جمعيّة محظورة، والارتباط بجهات خارجيّة معادية للوطن !

"لم أجد أيّة فرصة كي أفيد الجلّادين بأنّي قد قمت فعلا باستشارة عطف بعض أصحاب النّفوس الرّحيمة من أبناء الحيّ، للوقوف إلى جانب جارتنا المسكينة التي عاينّاها، وهي تكابد الفقر والخصاصة، بعد اعتقال زوجها بتهمة الانتماء إلى حركة النّهضة ذات الاتّجاه الإسلاميّ، وأنّ التّبرّعات التي جمعتها، كان مآلها جيب جارتي، وليس خزينة حركة النّهضة. كما لم أجد الفرصة للتّعبير عن عدم انتمائي للحركة المذكورة.. وقع تعذيبي بشدّة، علّقت من معصميّ حتّى أصيبت ذراعي بإعاقة دائمة. قلعت أظافري. رميت بين أكثر مساجين الحقّ العامّ شذوذا ودناءة. رغم شيخوختي وتوسّلاتي، لم يتردّدوا في اغتصابي... بعد أربع سنوات من جحيم الإيقاف التّحفظيّ، حكم عليّ باثنتي عشرة سنة... فقداني ليدي اليمنى ورجلي اليسرى أعفاني من الأشغال الشّاقّة... قبل حلول الذّكرى الخامسة لاعتقالي، فقدت

زوجتي. علمت بوفاتها عن طريق سجين جديد كنت صديقا لوالده، قبل فقدان زوجتي بمدّة أطول بقليل، تأكّدت من فقدان ولديّ وواحدة من بناتي... باستثناء ابنتي الصّغرى، لم يقدم أحدهم على زيارتي، التمست لهم العذر.. كان الأوّل رائدا في الجيش، كما كان الثّاني مخرجا تلفزيونيّا شهيرا. أمّا ابنتي الكبرى فقد كانت زوجة مسؤول حكوميّ كبير.

عد تسع سنوات من الاعتقال الظّالم، وحين غادرت السّجن، بعد أن شملني عفو رئاسيّ بمناسبة حلول الذّكرى الخامسة عشرة لتحوّل السّابع من نوفمبر٨٧، لم أجد أحدا حولي، خصوصا وقد أصبحت من ذوي الاحتياجات الخاصّة، إلى أن سمعت بمؤسّستكم."

لم يحتج الدّكتور سامي عمارة إلى سؤال عم محمود عن ابنته الصّغرى. فقد علم منه أنّها توفيّت بسرطان الثّدي خلال السّنة الرّابعة من اعتقاله.

أثناء سرد معاناته، لم ينس عم محمود تذكير الدّكتور سامي عمارة بين الحين والحين بأنّ "ربّي كبير"، وكأنّ الدّكتور سامي عمارة هو المصاب دونه !

حبّ الدكتور سامي عمارة لعم محمود، و بحثه عن سيبل حقيقي

obeikandl.com

لإسعاده، حمله ذات مرّة على زيارة العقيد أشرف مروان في بيته، وتذكيره إلى حدّ التّوسّل بضرورة زيارة والده الشّيخ، حتّى إنّه اقترح عليه استقباله في بيته لنفي أيّة شبهة عنه.. كان رفض العقيد مروان قاطعا وحادّا و فظّا.. كان يخشى من تسرّب خبر يفقده موقعه البارز في السّلطة، خصوصا و قد رقي إلى رتبة جنرال..

حين خرج سامي عمارة من عنده، فهم لأوّل مرّة كيف يمكن للنبيّ نوح أن يلد كافرا... موقف المخرج سامح مروان كان أسوأ من موقف أخيه، أعلن بكل بجاحة:

"ما دام قد اختار مصيره بنفسه، فليتحمّل جرائر ما قدّمت يداه."

رأى سامي عمارة أنّ من العبث الدّفاع عن عم محمود لأجل ذلك، انصرف متحسّرا.

منذ أشهر قليلة، اقترح الدّكتور سامي عمارة على زوجته جلب عم محمود للإقامة بينهما، غير أنّ اقتراحه قد جوبه برفض واستهجان شديدين. منذ ذلك الحين أيقن الدّكتور سامي عمارة أنّه قد تسرّع في اختيار شريكة ثانية.

آخر مرّة رأى فيها عم محمود كان مساء أمس الأوّل، أوّل أيّام عيد الفطر. اعتاد الدّكتور سامي عمارة الذّهاب مباشرة بعد

obeikandi.com

صلاة كلّ عيد إلى مؤسّسته الخيريّة لمؤازرة قاطنيها، ورفع معنوياتهم... كان يدرك جيّدا حساسيّة تلك المناسبات، التي لم تصبح سعيدة، وما تبعثه في نفوس هؤلاء المنبوذين من مواجع وحسرات..

كان عم محمود، وعلى غير عادته، واجما بعض الشّيء حتّى إنّه لم يتحمّس كما كان يفعل دائما، حين اقترح عليه مقابلة (إسكرابل). لم تكن حاله كذلك قبل ساعات قليلة حين سهر معه إلى ساعة متأخّرة من اللّيل، حتّى إنّه قبل أن يغادره، طلب منه مبتهجا التّنازل له عن جريدة "الصّباح"، وقد فعل الدّكتور سامي عمارة بكلّ سرور رغم احتياجه الى قراءة خبر أوصاه صديقه بضرورة الاطّلاع عليه نظرا لطرافته .

حين اجتاز الدّكتور سامي عمارة عتبة المؤسّسة الخيريّة، طالعته سميّة بوجهها الصّبوح، وقد بدا عليها التّأثّر الشّديد، بادرها بقوله :

كيف حدث ذلك ؟

. حين ذهب عم صالح لإيقاظه لصلاة الفجر، وجده مشدودا بحبل إلى سقف غرفته... أثبت الطّبيب المرافق للجنة البحث

obeikandl.com

الجنائيّ أنّ الموت قد حدث قبل ساعة .

. كيف كان بالأمس؟

. كان متجهّما على غير عادته.

. هل تجاذبت معه أطراف الحديث ؟

. فقط حين طلب منّي نسخ مقال صغير من جريدة" الصباح."

. هل تذكرين ما كان محتواه ؟

. لم أهتم بذلك.

. ماذا حدث بعد ذلك؟

. عند انتهاء الدوام، سلّمني رسالة، ورجاني إسقاطها في أقرب صندوق بريد... كانت تحمل اسميّ أشرف، وسامح مروان .

حين توجه الدّكتور سامي عمارة إلى غرفة عم محمود، كان يأمل بوجود جريدة "الصباح"؛ لعلّه يجد بين طياتها ما يفسر لغز انتحار عم محمود، غير أنّه وجد الغرفة مختومة بالشّمع الأحمر. حين سأل عن الجريدة أفادته سميّة بأنّ كلّ أغراض عم محمود قد جمعت في كيس بلاستيكيّ أسود، ثمّ أخذت مع الجثّة .

حين كان الدكتور سامي عمارة يغادر المؤسسة بلغه صوت سميّة :

. دكتور سامي انتظر.

obeikandi.com

التفت فرأى سميّة تسير باتّجاهه، وفي يدها ورقة وهي تتقدم نحوه وتقول:

.كنت أخبرتك أنّني نسخت مقالا لعم محمود...

. ما لم أر ضرورة لذكره، هو أنّني قد فشلت في محاولة نسخي الأولى ..

. لقد نسخت النّصف الأعلى من المقال المطلوب. لأجل ذلك أعدت نسخه ثانية. ثم وهي تمد له الورقة:

. وها هي النسخة المبتورة .

تفحّص الدّكتور سامي عمارة الورقة المنسوخة، تحت عنوان: " في الصين، وفاء من نوع آخر". قرأ ما يلي : قطع الكلب "هوا هوا" و عمره سنة واحدة مسافة خمسين كيلومترا لزيارة السّيد "لي شون" الطّبيب البيطري الذي اعتنى به لمدّة ستّة أيّام قبل أن يعيده إلى منزل صاحبه، وقد فوجىء الطّبيب البيطريّ الشّاب ذات صباح شتوي بالكلب "هوا هوا"، وهو يقف مرتجفا أمام بوّابة عيادته الخاصّة. كان "هوا هوا " قد قطع مسافة...

ارتجفت يدا الدكتور سامي عمارة، أصيب بذهول أعقبه ألم شديد، ترك الورقة تسقط من يديه، وجد نفسه يتهاوى على الأرضيّة الرّخاميّة الباردة، أدركته سميّة.. أخذت بيده.

. خيرا دكتور

. شكرا سميّة. لا شيء، مجرّد صداع خفيف. ثمّ وهو يحدّث نفسه " الآن فقط أدركت الأثر المدمّر الذي أحدثه خبر الكلب الوفيّ في نفس أب منبوذ بذل سنوات عديدة من عمره في العناية بثلاثة أبناء عاقّين."

حين أوجز الدّكتور سامي عمارة لسميّة ما قرأه لتوّه، أشارت الأخيرة إلى أمر لم يتفطّن إليه الدّكتور سامي عمارة من قبل .

. لعلّ أكثر ما آلم عم محمود – رحمه الله – أنّ أبناءه الثّلاثة لم يكونوا بحاجة إلى قطع واحد من خمسين من المسافة التي قطعها الكلب الوفيّ "هوا هوا" للتّعبير له عن عرفانهم بالجميل... فأبعدهم عنه سكنى، كان يقطن على مسافة أقلّ من كيلومتر واحد منه.!

obeikandl.com

رَحِيلٌ مَعَ الأمَل

بقلم: آمال المصري

كُلَّمَا سَمِعَتْ دَبِيبَ خُطُوَاتِي فَوْقَ سَقْفِ دَارِهَا، اسْتَوْرَى غَضَبُهَا، وَتَوَغَّرَ صَدْرُهَا، وسَفِيَ فِي وَجْهِهَا الرَّمَادُ.

لَمْ تَسْتَكِنْ حَتَّى فَرِرْتُ مِنْ بَيْتِي .. لاأَحْسَبُ مَاسَيَكُونُ مَصِيرِي بَعْدَمَا أبْطَرْتُ ذَرْعَاً، وَتَعَثَّرَتْ طُمُوحَاتِي، وَأَنا أَسْمَعُ قَرِينَاتِي وَفَيْضًا مِنْ رِوَايَاتِ الاحْتِوَاءِ .. أَرْثِي حَالِي لِهَذِهِ الْدِحْدَاحَةِ بَكِيئَةِ الْخَيْرِ.

أَفْصَحَ نِطَاسِيّ عَنْ عَجْزِهِ فِي تَشْخِيصِ حالَة إجْهَاضٍ مُتَكَرِّرَةٍ.

آيَسَتْنِي فَرْحَةُ الْحَيَاةِ

كَمَا أَقَرَّ آخِرُ رَوْحَانِيّ بِأنَّهُ سِحْرٌ لِلْتفْرِيقِ.

بَعْدَ فِتْرَةِ نَقَاهَةٍ، نَصَحَنِي وَالِدِي لِلْعَوْدَةِ فِي مُحَاوَلَةِ الْتَّكَيُّفِ، وفُرْصَةٍ أخِيرَةٍ لَمْ يَكُنْ لَدَيَّ خِيَارٌ إلّا خَوْضَهَا.

لَمْ يُوَاجِهْنِي مَارَأَيْتُهُ مِنْ قَبْل..

بَعْدَ يَوْمَيْنِ، انْقَطَعَتْ الْمِيَاه.. انْقَطَعَتْ الْكَهْرَبَاء!

عَجزْتُ أَنْ أَقُومَ بِمُمَارَسَةِ أَعْمَالِ الْبَيْتِ الْيَوْمِيَّةِ، إذَا بِهِ يَأْتِي

obeikandl.com

مُتَهَزِّعَاً، يَثُورُ دُونَ وَعْيٍ وَيَتَّهِمُنِي بِالْتَّطَاوُلِ عَلَى وَالِدَتِهِ. وَفَجْأَةً، انْهَالَ عَلَى الْمَكَانِ تَحْطِيماً..

انْهَارَتْ مُنَّتِي، وَسَقَطْتُ وَقِيذَةً وَسطَ حُطَامِ الْمَكَانِ، وإذَا بِعَوِيلٍ وَصِرَاخٍ يُسَغْسِغُ صَوْتَ الْهَشِيمِ، وإذْ بِطَرْقٍ خَصِيمٍ عَلَى الْبَابِ:

(طَلِّقْ هَذِهِ الهَنْبَاءَ الورْهاءَ .. لانُرِيدُهَا) .

تَرَكْتُهُ مُوَدِّعَةً الْحَيَاةَ هُنَاكَ، وكَأَنَّنِي أُطَلِّقُهَا طَلْقَةً بَائِنَةً لارَجْعَةَ فِيهَا.

بَعْدَ شَهْرٍ مِنَ الإقَامَةِ فِي بَيْتِ وَالِدِي مُقِرَّةً انْهاءَ تِلْكَ الْعِلاقَةِ، كَانَتْ مُحَاوَلَات كَثِيرَة مِنْهُ لِلْعَوْدَةِ مَصْحُوبَةً بِمُمَارَسَةِ طُقُوس الْنَدَمِ الْدَامِعَةِ، وَاثِقاً لِي عَقْدَهُ بِالفَصْلِ بَيْنِي وبَيْنَهَا؛ فَأَرْضُ اللهِ لَنْ تَضِيقَ بِنَا.

لاَحَتْ بَارِقَةُ أَمَلٍ بِعَلاَمَاتِ قُدُوم زَائِرٍ جَدِيدٍ .. سَحَبَ لَنَا أَذْيَالَ الْغِبْطَةِ.

تَوَالَتْ الْشُهُورُ الأُولَى الَّتِي نَصَحَ فِيهَا الْطَّبِيبُ بِعَدَمِ الانْفِعَالِ والْجُهْدِ حَتَّى أَرْأَمَنِي، وَصَرَّحَ بِأَنَّ حَالَتِي وَالْجَنِين صارا لابَأْسَ بِهِمَا.

كَانَ زَوْجِي يَرْتَمِضُ بِالْتِيَاعٍ، بَلْ وَيَتَقَطَّعُ حَسَرَاتٍ بِوَجْدٍ تَنْفَطِرُ لَهُ الْمَرَائِرُ غِيَاب وَالِدَته الَّتِي أملَ أَنْ يَرَى حَفِيدُهَا الْنُّور بَيْنَ كَفَّيْهَا

!.

لَنْ أَنْسَى يَوْمَ قَرَعَ سَمْعِي دُعَاؤُهَا أَنْ لايَعْوِي وَلِيدٌ فِي سَتْرِي..

تَحْتَدِمُ النَّارُ مِنْ جَدِيدٍ، وَيَنْهَزِعُ الرِّباطُ، وأَنَا أُكَابِدُ غِصَصَ الْهَجْرِ حَتَّى بَاتَتْ الرُّوحُ دَيْقُوعَةَ الْيَأْسِ، بَعْدَمَا عَاقَرَتْ أَقْدَاحَ الْجَفَاءِ

... كانَ يَقُومُ بِالاتِّصَالِ عَلَى الْهَاتِفِ، يُسْمِعُنِي مَايُصْدِعُ فِيَّ الْأمَلَ مِنْ مِضَاضِ وقِعَاعِ كَلِمَاتِهِ.

تِلْكَ الْمَرَّةَ حَاوَلَ الاتِّصَالَ كَالْمُعْتَادِ؛ لِيُسْمِعَنِي بَعْضَ مَا أَعَدَّهُ لِي؛ لِيُصْعَقَ بِأَنَّ الرِّبَاطَ الوَحِيدَ بَيْنَنَا سَيَنْقَطِعُ بَأَحَدِ الْحَلَّيْنِ، حَيْثُ قَرَّرَ الْطَبِيبُ، إِثْرَ أَحَدِ الْصّدَمَاتِ إِنْهَاءَ الْحَمْلِ أَوْ هَلَاكِي.

جَاءَنِي لَهِيفاً هَاتِناً يَمْتَحُ فَضْلِي، وَيَسْتَدِرُّ جَوْدِي، وأَنَا أُدَامِرُ الْأيَّامَ تَحْتَ إِشْرَافٍ طِبِّي مُشَدَّدٍ الْأَشْهُرَ الْبَاقِيَةَ، وَنَتِيجَة غَيْرَ مَعْرُوفَةٍ إِلَّا أَنَّهَا نِهَايَةٌ حَتْمِيَّةٌ لِي...

وَجَاءَتْ لَحْظَةٌ كُنْتُ أَخْشَاهَا بِقَدْرِ انْتِظَارِهَا..

دَخَلْتُ غُرْفَةَ الْجِرَاحَةِ وَجِلَةً، يَشْخُصُ بَصَرِي فِي الْسَّقْفِ، تَتَقَرْقَفُ ثَنَايَايَا، وتَتَقَعْقَعُ أَضْرَاسِي ..

يَسْأَلنِي الْطَّبِيبُ مَا أَتَمَنَّاهُ ؟

- أَنْ أَحْيَا بِالْأَمَلِ، أَوْ أَرْحَلَ مَعَ الْأَلَمِ .

بَيْنَمَا هُوَ تَائِهٌ فِي بَيْدَاءِ الْفِكْرِ تَسْتَوْكِفُهُ الدُّمُوعُ ؛ لِوُجُودِ وَالِدَته خَارِجَ إِطَارِ الصُّورَةِ.

وَجَاءَ الضَّيْفُ الجَدِيدُ يمْتَطِي رَكْبَ النُّورِ، بَيْنَمَا أَخْرُجُ أَنَا غَائِبَةَ الحَوَاسِّ .. مُخَدَّرَةَ الجَسَدِ . .لا يَدْرِي مَنْ حَوْلِي أَحَيَّةٌ أُرْجَى أَمْ مَيِّتَةٌ أُنْعَى ؟.

obeikandl.com

صراع مع الموت

بقلم: نزار بهاء الدّين الزّين

كنت في زيارة لأحد أقاربي، حيث تصادف وجود أبنائه وبناته والأزواج والأحفاد. .

الأحفاد؟، ألا ما أروعهم! كانوا يقفزون من حوله، ومن فوقه، ومن بين ساقيه كحمائم أليفة. هذا يهاجمه مصارعا تارة، وملاكما تارة أخرى، فيتّخذ في مواجهته موقف المدافع، وذاك يطلق عليه رصاصه الوهميّ من بندقيته الخشبيّة، فيتصنّع الإصابة ملقيا نفسه فوق أقرب أريكة، فاغرا فيه مدليّا لسانه، جاحظا عينيه ، وتلك تسترق خطاها النّاعمة لتفاجئه من الخلف قافزة على ظهره متشبّثة بكتفيه، فيثبت يديها الصّغيرتين براحتيّ يديه الحانيتين، ثمّ يدور بها بضع دورات حتّى يدوخها ويدوخ، فيقعا معا على الأرض ضاحكين.. ورابعة تشدّه مستنجدة ليحلّ لها مشكلتها مع إحدى ألعابها. و ثمّة صغير أخذ يلحّ عليه طالبا إعادة رواية إحدى الحكايات المثيرة . كانت سعادته بهم وسعادتهم به فوق كلّ وصف.

أمّا جهان ابنته الكبرى، فكانت مكتئبة، ومن بينهم جميعا ظلّ

obeikandl.com

فمها منكمشا وجبينها مقطّبا، وعيناها طافحتين، وإن لم تفضّا، لولا أن علا عويل أصغر أبنائها من الدّاخل فانفجرت باكية، وهي تدمدم : " هذا فوق احتمال البشر. لم يدعني أغفو طوال اللّيلة الفائتة. هذا ظلم فكأنّ المرأة وحدها خلقت للشّقاء ". ثمّ التفتت إلى زوجها متمتمة ببعض غضب : " أنا بدوري امرأة عاملة يا سليم. أنا لم أنجبه وحدي، فكلانا شركاء. ساعدني بعض الشّيء في تحمّل المسؤوليّة".

هنا شدّتني بعيدا عن عتابها الباكي الذي أثاره رضيعها المشاكس أو ربما المريض، نظرة رمقني بها قريبي مشفوعة بابتسامة.. حملتا أكثر من معنى، وحفّزتا ذاكرتي للحال؛ لتبرز على شاشتها الخفيّة لقطات مكثّفة وسريعة من حكاية جهان . جهان الطّفلة ذات السّنوات العشر. جهان المريضة، وهي تصارع الموت. جهان الموظّفة النّشطة، ثمّ جهان العروس فالأمّ، و إلى جوارها مع كلّ صورة وجهان حانيان وجه قريبي هذا، ووجه زوجته المرحومة.

لم ينتبه والدا جهان إلى أنّ الأمر غير عادي، إلّا بعد أن أخذ سعالها يتكرر ويتلاحق ترافقه أعراض اختناقية؛ كانا قد باشرا علاجها – شأنهما شأن معظم ذوي الدّخل المحدود – وفق أعراف الطّبّ الشّعبيّ من مستحضرات العطّارين؛ إضافة إلى

الحجامة و التّبخير، ثمّ انتقلت الوالدة — بناء على نصائح عجائز العائلة – إلى بيوت المشعوذين. فمن قائل بأنها أصيبت بعين حسود، ومن قائل إنّ شيطانا قد تقمّصها، فاستجابت الوالدة لكلّ إرشادات هؤلاء – على الرّغم من عدم قناعتها، كمثقّفة، بكلّ ذلك — وذلك دون التماس أيّ تحسّن. وعلى العكس، فقد تفاقم المرض فأقعدها ثمّ أخذ سعالها يتّخذ شكل نوبات حادّة مع ارتفاع حرارة جسمها، ولكن عندما قذفت دما، شعر الوالدان بخطر حقيقيّ ، فاستدعيا عندئذ الطّبيب.

نظر إليهما الطّبيب بإشفاق، ولكن ببعض ارتباك ثمّ أخبرهما بأنّه التّدرّن الرئويّ أو السّلّ الرّئويّ، وأضاف : " هو في مرحلته الثّانية. فإن أفلحنا بإيقافه تكتب لها النّجاة وإلا " ...

بكت الوالدة و أجهشت. أمّا الوالد، فقد أصابه ذهول لم يفق منه إلّا عندما انتابت جهان موجة جديدة من السّعال، فهرع إلى ملابسه يرتديها، ويخرج على عجل ليحضر ما وصفه الطّبيب من أدوية.

و بروح تعاونيّة نادرة، قسما واجباتهما الطّارئة بينهما. فهناك أبناء آخرون يجب الحرص على وقايتهم، و تعليمات الطبيب بهذا الخصوص يجب أن تنفّذ بدقّة. فغرفة جهان محظورة تماما على

إخوتها، وكذلك استخدام أدواتها وملابسها . إنّها حالة طوارئ باللّون الأحمر.

و تعلّمت الوالدة طرق التّعقيم، وضبط مواعيد الدّواء بأنواعه، وقياس الحرارة والنبض وتسجيلهما على شكل خطوط بيانيّة، وتعلّم الوالد الحقن العضليّ ثمّ الوريديّ، وكذلك تعوّدا على تناوب السّهر إلى جانبها، فحوّلا بذلك بيتهما إلى مستشفى حقيقيّ.

و بكلّ هدوء و شجاعة حصرا ما يمكن الاستغناء عنه بدءا من مصاغ الأمّ، وانتهاء بمقتنيات الزّينة، كالمزهريّات والفضيّات والأوعية الصّينية التي اعتاد النّاس على اقتنائها، ثم أخذا يبيعانها شيئا فشيئا ليتحوّل ثمنها إلى غذاء مركّز وعلاج مكثّف، وأمل عنيد بأن ينقذا ابنتهما جهان من براثن الموت.

لم تحرز جهان تقدما ملحوظا، فلجأ الوالد إلى طبيب آخر ذاع صيته مؤخرا. استدعاه وبعد إجراء فحص دقيق مستعينا بالتّحاليل المخبريّة، قرّر لها عقارا جديدا باهظ الثمن يتمّ تناوله بالحقن، بحيث كانت كلّ ثلاثة عبوات منه تعادل نصف مرتبه كمهندس طوبغرافي في إحدى الدّوائر الحكوميّة.

صدمة جديدة وعبء جديد جعلا الوالدة تلقي برأسها على صدر زوجها مجهشة بالبكاء، وأخذ الوالد يربّت على كتفيها

obeikandi.com

بحنان، وهو يداري دمعه. كان ذلك أوّل موقف عاطفيّ يجمعهما منذ أشهر، امتزج فيه حبّهما بدموعهما، إلّا أنّه موقف حفّزهما على مواصلة النّضال. فمنذ اليوم التّالي قابل الوالد رئيسه شارحا له وضعه، مطالبا بعمل إضافيّ يساعده على مواجهة محنته، فاعتذر المدير، إلّا أنّه أرشده إلى مهندس صديق، فعمل لديه – و هو راض و ممتن – كرسّام هندسيّ.

و ببطولة استوعبت الأمّ كافّة الأعباء الدّاخلية لتفسح لزوجها مجال الانصراف إلى عمله الإضافيّ المرهق. كانت إذا فرغت من شؤون المنزل واحتياجات الأطفال ثمّ أسلمتهما إلى اللعب أو الفراش، تنصرف إلى جهان، فتجالسها وتقصّ عليها الحكايات والنّوادر. كانت جهان تمسك بيد أمها، وتتشبث بها كأنّما لتستمد منها الطّمأنينة والأمان. كانت تتصوّر خطرا يتربّص بها كخطر الذّئب في قصّة ليلى والذّئب، أو خطر حلم يعقوب، أو خطر منكر ونكير . و تسأل أمّها: " ماذا لو كانت لي ذنوب، هل حقّا سوف يعذباني ؟.. ماذا لو وجدت نفسي وحيدة في قبري ؟ كثيرا ما أحلم يا أمّي أنّني وحيدة في قبري أرتجف بردا و هلعا .! "

أسئلة تتجاوز سنّها ولا عجب، فقد كانت من المتفوّقين قبل أن

يقعدها المرض، وكانت منذ نعومة أظفارها فلسفيّة التّساؤلات وغزيرتها، و ها هي الآن تتفلسف حول الموت وما بعده. فقد أدركت معاناة والديها، ومتاعبهما الماديّة و الجسميّة، وتابعت بحزن وإحساس بالذّنب مساومات والدها مع تجّار الأثاث المستعمل وأصغت بأسى إلى همسهما حول ما تبقّى من قائمة الموجودات المرشّحة للبيع وشيكا، ثمّ أخذت ترصد تأخّر والدها المسائيّ، وسهره أحيانا حتّى الفجر، وهو يرسم ويرسم..

ولاحظت عينيه بألم، وهما تزدادان إرتخاء، وعدم تمكّنه من التّحكّم بعضلات جفنيه، فانطلقت تتحرّك كيفما شاءت، فأيقنت أن ذلك كلّه ما كان ليحدث لولا مرضها، فكان إحساسها بالذّنب يضاعف من معاناتها من مرضها وخوفها من استفحاله، لولا تلك اليد الدّافئة، والعينان الناضحتان بالحبّ والوجه الباسم الذي كان يكلؤها برعايته الحانية ليل نهار.

و ذات يوم، قال لهما الطّبيب : " لقد أفلحت بتعطيل المرض إلا أنّني لم أفلح – للأسف – حتّى الآن بإيقافه، وأنصح بنقلها إلى مصحّ صدريّ في أحد المنتجعات الجبليّة، حيث الهواء النقيّ والعناية المتخصّصة " .

مصاريف جديدة و أعباء جديدة، وكالعادة واجهها الوالدان

بشجاعة. كانت أعمال البناء قد تضاعفت مؤخّرا، كما افتتحت الجامعة كليّة الهندسة بفروعها، فراجت تجارة الأدوات و المعدّات الهندسيّة، ووجد فيها الوالد فرصة لدخل قد يسمح بتنفيذ توصية الطّبيب المكلفة. عمل بداية كوسيط (سمسار) ثمّ اكتشف إمكانيّة العمل لحسابه الخاصّ، و إذ لاحظ أنّ الأمر مربح، بادر لفوره إلى إدخال جهان إلى مصحّ صدريّ معروف، فاضطرت الأسرة – نظرا لبعد المصح – إلى استئجار منزل في قرية مجاورة، و هذا ما أتاح للوالدة أن تزور ابنتها كلّ يوم مشيا على الأقدام توفيرا للمصاريف.

و في يوم من تلك الأيّام العصيبة ، ما كادت أم جهان تلتقط أنفاسها قادمة لزيارة ابنتها حتّى وجدتها في غاية الاضطراب.

قالت جهان، وهي تبكي بحرقة : " تقيّأت نجوى زميلتي في الغرفة.. تقيّأت دما ثمّ شهقت مرتين .. فقط مرتين ، ثم ماتت. ماما أنا خائفة .. ماما يخامرني شعور أنّني التّالية ."

هدّأتها أمّها ثمّ طلبت من الطّبيب المناوب أن يبدد مخاوفها، فأكّد لها أنّها في طريقها إلى الشّفاء. وبعد أقلّ من أسبوع، همست جهان بأذن أمّها، وهي تعانقها : " لم ينتبني السّعال منذ الأمس يا أمّي ." كانت تلك العبارة بداية رحلة النّقاهة لبضعة أشهر

obeikandi.com

أخرى تكلّلت بالشّفاء التّام.

تذكّرت ذلك كلّه في ثوان.. تذكّرت خروج جهان من المصحّ.. تذكّرت عودتها إلى المدرسة، والتهام ما فاتها من علوم.. تذكّرت حفل زفافها، وتذكّرت والدتها التي ما أن اطمأنت على نجاتها من براثن الموت حتّى عاجلها الموت . ثم تذكّرت كفاح والدها و مثابرته وتصميمه على إنقاذ ابنته، ثمّ التفت نحو جهان، فهمست لها بسرّي : " و الآن تتذمّرين من وعكة ألمت برضيعك يا جهان ؟ أنسيت كم سهر والداك من ليال أمام سريرك، وهما يصارعان الموت لحسابك ؟"

ملامح حزن

بقلم: لمى ناصر

فتحت جفنيها ملء صحوهما، تحسّ بأنّها استغرقت في النّوم حدّ التّرف، ومع ذلك فلا رغبة لها بالنّهوض من الفراش. دقّات السّاعة الخبيثة تحسّ مرارتها تحت لسانها.

كيف نهرمُ في غفلة عن أنفسنا؟ لا بدَّ من النّهوض.. تعطشت لكوبٍ من شاي ساخن هكذا...يمكن للنهوض ما يبرّره. حملت جثّتها وسارت بها نحو المطبخ..أكوام من الأطباق المتّسخة في انتظارها.

كيف غفلت عنها ليلة البارحة؟ وضعت الإبريق، شردت في مائه وهو يغلي.

أخذت نفسا عميقا لا بدّ من الاعتراف بأنّها حزينة.. الماء يغلي بقوّة..حزينة حزنا مشروعا..بسيطا وربّما ساذجا،كذلك الذي يصيب النّاس..كل ّالناس..تحاول جاهدة قمع هذا الإحساس، ودفنه بعيدا في كهف مظلم في غابة الرّوح.

obeikandi.com

من فقاعات الماء أطلّ وجهه.. بدا هادئا وطيّبا صوته يتسرّب في خلاياها

- ما الذي يحزنك؟

تحدّق في عينيه، تدرك أنّه إزاء صمتها ستتشكّل زوبعة في عينيه، تقذفها برملها وهوجها.

- هيّا..قولي ما بك؟

ألا يدرك أنّ من حقّي أن أكون حزينة دون أيّ سبب؟." ملامحه الهادئة" تذوب في أخاديد وجهه، تحلّ محلّها ملامح تشي بالتّوتّر والعصبيّة.

- هل تريدين الخروج؟

- لا

- هل تريدين شراء شيء؟

- لا

يرمي بقبضته في الهواء، يخبط بقدمه، تدرك أنّ عليها أن تكفّ عن ممارسة حزنها. لا تهمّ الوسيلة، المهمّ أن تزرع ابتسامة، ولو في رحم عاقر.

حفنة من الشّاي تلقيها في الإبريق، تتركه قليلا قبل أن تصبّه خمريّا رائقا. شهوة الحديث مع إحدى الصّديقات تتملّكها، تهرع إلى

obeikandi.com

الهاتف، يأتيها صوت دافئ ممرّغ بالحنوّ، ممّا يزيد شهوتها للبكاء.
تندفع بالحديث معها على غير عادتها.. رغبة البوح تجرحها تلعنها، ولكنّها تتمسّك بها. ثرثرت طويلا إلى أن أحست بالخدر في أحاسيسها، فأغلقت السّماعة.
هي الآن تبكي، تنساب الدّموع بهدوء على الوجه الملائكيّ، تبكي بل وتنشج، وعند نقطة معيّنة تصل إليها في شرودها، ترمي بقبضتها على يد المقعد بعنف، وأحيانا تقذف بشتائم قاسية.. تروق لها حالتها هذه، فتمعن بالبكاء بصوت مرتفع..
حاولت أن تتذكّر آخر مرّة بكت فيها بحريّة، فلم تستطع.
أحسّت بمذاق غريب على شفتيها، وأنّ دواخلها الآن أكثر صفاءً ونقاءً..وأنّها سعيدة، ولا تدري بأيّ مفهوم هي سعيدة بدموعها وعصبيّتها؟.. أحسّت أنّها تتحرّر، وأنّ أحاسيسها تركض بحريّة في غابة روحها. فكّرت وشعرت بنفسها تعود إلى طفولتها..لن أرتّب أيّ شيء في البيت. لتعمّه الفوضى.. لا بأس هو يوم لا يكون ككلّ الأيّام السّابقة المارقة في الشّهور والسّنين. مسحت آخر دمعاتها، وابتسمت بهدوء يليق بالأطفال..
نظرت إلى وجهها في المرآة، فأدركت الآن أنّها امرأة حقيقيّة، تبكي كما تشتهي وتبتسم كذلك كما تشتهي. تنزل بنظراتها إلى

مستحضرات التّجميل، إنّها تماما كورق الجدران، ورفعت نظرها إلى الجدر متفقّدة. كانت عارية، وتذكّرت كم باتت تكره أن تغطيها بالورق المزركش الملوّن.

في المساء، كان الحزن في داخلها يتمدّد ويأخذ شكل عين جامدة. موج من الدموع تدافع إلى عينيها، حنَّت إلى صدر دافئ تدرك أنّه يمعن في غيابه المرّ. جرس الباب يرنّ.. إنّها السّابعة مساءً. هرعت إلى المرآة ومسحت بضع دمعات نفذت دون إرادتها. وضعت أحمر الشّفاه وشيئا من الكحل، فتحت الباب لزوجها ،بينما ابتسامة عريضة شقّت وجودها بين شفتيها الشّاحبتين.

obeikandl.com

الرّواية

بقلم: محمد النعمة بيروك

لم تعجبه نهاية الرّواية التي قضى في قراءتها ثلاثة أيّام..

" كيف يُبقي الكاتب النّهاية مفتوحة بهذا الشّكل الفظيع؟..هل استسلم الكاتب لروايته بعد أن فشل في إيجاد مخرج ما؟.. هل كان يقصد أنّ المستقبل مفتوح بدوره على كلّ الاحتمالات؟"

أسئلة كثيرة كانت تختمر في ذهنه.. لوهلة شعر أنّ الكاتب خدعه..

"لو كنت أعلم أنّ النّهاية هكذا.. ما قرأت الرّواية أصلا ".

كانت الرّواية بأربعة أجزاء طويلة.. ولم يكن أسفه على الوقت الذي ضاع في القراءة فحسب، بل كان يرى أنّ جماليّة الأسلوب، وتسلسل الأفكار والأحداث، وروعة الحوار والبناء الفنيّ للرّواية ككلّ، كلّ هذا كان رائعا، وأفسدته تلك النّهاية..

"ماكان يجب أن تُطرد تلك العائلة المسكينة من البيت الذي ورثته عن جدودها.. وما كان يجب أن تنتهي القصّة بدخول أولئك المستوطنين إليه، خصوصا مع هذا النّفس المقاوم الذي لازم الأحداث حتّى آخر لحظة.. كيف تُعيد الكتابة الهزائم

والنّكسات؟.. أما كان يجدر أن ننتصر على الأقلّ في الأعمال الأدبيّة بدل إعادة تمثيل الهزيمة؟"

شعر أنّ هذا النّوع من النّهايات يعطي رسالة خاطئة عن الجدوى من المقاومة، فظلّت الأسئلة تحاصره بإلحاح غريب.. شكّ لوهلة في نيّات الكاتب نفسه.. ثمّ تراجع عمّا حدّثته نفسه به، وطرد فكرة المؤامرة من ذهنه..

قلّب الرّواية بين يديه..تصفّح أوراقها، وكأنّه يأسى على شيء ما..انتابته فكرة مفاجئة:

"كيف لم تخطر ببالي؟ هل يمكن؟"

كانت الفكرة أن يُغيّر الأحداث بنفسه.. كان يتوجّب عليه فقط أن يندمج في الرّواية لدرجة الحلول.. إذن عليه إعادة القراءة بتأمّل وتركيز شديدين.. استغل فرصة ظروفه المواتية وبدأ.. اندمج قدر الإمكان في تفاصيل الرّواية.. كان والحال كذلك في شبه غيبوبة، وكان العرق يتصبّب منه.. بحث - بلاوعي ربما - عن شخصيّة مناسبة ليتقمّصها.. لم تكن الشّخصيات الرئيسيّة مناسبة، فهي تحمل أسماء وصفات واضحة لا تشبهه.. بحث في الثّانوية فلم يجد.. كاد يفقد الأمل، لكنّه صادف في القراءة شخوصا عابرة لكنّها عربيّة، وإن لم تحمل ملامح واضحة..استغلّ لحظة اندماج

وحلّ في إحداها..

فجأة، وجد نفسه داخل الرّواية و تحديدا في الصفحة ٢٤٢ في مكان بعيد عن العائلة المستهدفة.. لم يكن لديه خيار آخر، فكل العابرين كانوا في مناطق نائية.. لكن عصابات (الهاجانا) لم تكن قد وصلت بعدُ وهذا هو الأهمّ.. أوّل ما أعاقه هو زمن الرّواية الذي بدا وكأنّه لا يسعفه.. كانت الأحداث تتلاحق لكنّها تصطدم بالاسترجاع والوصف والحوار.. حاول التّسلل بين السطور والدور على حدّ سواء.. كان عليه تجاوز أشكال الحروف ووعورة الأرض و العبارات.. حاول إغفال ما استطاع من البناء والمعنى، ممّا لا يضر بالرّواية ككل، فهو يعرف أن إغفالها برمّتها لن يغيّر في الواقع شيئا.. قفز فوق الجمل الرّنانة، وتجاوز الاستعارة والتّشبيه، تماما كما قطع الحقول والأودية.. لم يكن في إمكانه تجاوز كلّ الصّفحات، كما أنّه سيجد العائلة المسكينة قد طردت.. كان لا بدّ من مسايرة الرّواية قدر الإمكان.. انتابه نوع من الزّهو، وهو يشعر أنّه يسير في الاتّجاه الصّحيح.. كان يعرف أنّ العصابات الصّهيونية تتقدّم نحو المدخل الشرقيّ للقرية.. لم يكن ذلك قدومها الأوّل إلى هناك؛ فقد سبق أن ارتكبت مجزرة في المكان ذاته، في الجزء الثّاني من الرّواية.. لم يبق من الصّامدين

الذين نجوا من ذلك الموت المحقّق سوى ثلاث عائلات من بينهم العائلة موضوع الرّواية.. وبالرّغم من خطورة الوضع، فقد غلبه التّعب. وهذا أمر طارىء لم يكن في الحسبان.. لم يجد بدّا من أن يستند إلى حرف للاستراحة.. شعر بالنّعاس لكنّه غالب نفسه، وانطلق من جديد..

لاحت في الأفق القرية المنشودة على بعد صفحات قليلة من نهاية الرّواية.. تقدّم بأمل كبير للوصول إلى العائلة قبل قدوم عصابات (الهاجانا).. وفي ما هو يتقدّم كانت الأحداث تسير كما رسم لها الرّاوي، وليس كما يريد هو.. أو كما حدثت بالفعل ذات يوم في فلسطين. وقف يشاهد عن بعد رحيل العائلة في اتجاه الشّمال دون أن يستطيع فعل شيء.. أيّ شيء.. حينها أدرك بكثير من الحسرة أنّه لا يعدو أن يكون شخصيّة عابرة.. وكان عليه – والحال هذه – أن يخوض معركة

جديدة للخروج من الرّواية.

obeikandi.com

غروب

بقلم: منى كمال

على شاطئ النّهر، وعند غروب الشّمس جلست بمفردها إلى جوار تلك الشّجرة العجوز، ذات الأفرع المتشابكة نظرت إليّ ذلك الفرع الممتدّ، والذي ألقى بجذوره إلى الأرض متشبّثا بها، كيف نمت منه أفرع صغيرة جديدة آخذة في النّموّ.

ورغم أنّه مازال يستمدّ غذاءه من الشّجرة الأمّ ، فلم تحزن ولم تمنع عنه الغذاء، خرجت منها تنهيدةً حارّة، وهي تتمتم: ما أعظمك أيّتها الشّجرة الحنون، ثمّ هامت بخيالها مرّة أخرى، ترى هل يوجد ثمّة شبه بيني وبين تلك الشّجرة؟!

تذكّرته بعينيه العسليّتين، وهو ينظر لها بحبّ ،وكيف كانت تعطي وتعطى دون مقابل. لم تكن تريد منه أكثر من أن تظلّ تلك النّظرة بعينيه.

أفاقت من شرودها على صوت ارتطام ،على صفحة ماء النّهر نظرت ناحية الصّوت.. إنّه صوت مجدافٍ لمركب صغير، يستسلم ليديّ صيّاد متعب، وأمامه زوجته التي تبدو أكثر تعبا

منه.

وهما في طريق عودتهما، بعد رحلة صيد شاقّة، ربّما أثمرت تلك الرّحلة عن رزق وافر أو لم تثمر.

هنا قفز إلى رأسها الصّغير سؤال: ترى هل هم سعداء؟ رغم ما يبدو عليهما من رقّة الحال؟

ولكن، ما هو مقياس السّعادة الذي سأبني عليه كونهما سعداء أم لا؟

هكذا سألت نفسها، وكانت الإجابة حاضرة، وليست بحاجة إلى تفكير، فالسّعادة شيء نسبيّ، يختلف من شخص إلى آخر.

مرّة أخرى رأت عيناه المتبسّمتان على وجه الماء، وتذكّرت كم قاست معه شظف العيش، ورغم ذلك كانت سعيدة، فقد كان يكفيها أن ترى تلك الابتسامة على وجهه، وتلك النّظرة الحنون في عينيه، كي تسعد وترضى وتقنع، ولكن سعادته كانت نابعة من هذا العطاء المتدفّق من جهتها.

اعتاد دائما أن يأخذ من مشاعرها ويعُب، ولم يلتفت مرّة واحدة أنّها هي الأخرى بحاجة للأخذ، حتّى تستمرّ بالعطاء. هنا طفرت من عينيها دمعة حارقة، استقرت على إحدى وجنتيها.

كفكفت دمعتها ملقية نظرة على الشّمس، التي بدت ملوّحة

obeikandl.com

بالمغيب، وهى تلملم ثوبها القرمزيّ، آذنة بقرب نهاية متوقعة.

نعم مثل نهاية حبّها التي كانت تتوقّعها دوما. كانت تعرف أنّه ولابدّ راحل، ولما يبق بعد أن استنزف آخر ما بها من مشاعر تجاهه.

سوف يغادر ليبحث عن قلب، مازال قادرا على العطاء، أمّا هي فقد سحب كلّ رصيده من قلبها، ولم يُبقِ منه شيئا.

انهارت الدّموع من عينيها، مثل شلّالٍ جارف.. كم أحبّته، وكم ودّت أن يظلّا معا إلى الأبد.

آه، لقد حلّ الظّلام، وغادرت الشّمس على أمل بالعودة.

فهل ستشرق شمس حياتها مرّة أخرى؟ هل ستجد قلبا ينبض بحبّها؟ قلبا قادرا على العطاء، قلبا يحوى بقايا حلم ضائع تمنّت أن تعيشه؟!

ربّما سيأتي يومٌ وتعيش الحلم القابع في زاوية النّفس.

نظرت نظرة حانية، للشّجرة الرّؤوم، وهي تهمّ بالمغادرة، شاكرة لها ذلك العطاء المتدفّق، وقد ارتاحت نفسها قليلا .

ذهبت وتركت بقايا دموع، وبقايا حلم في حضن الشّجرة الأمّ.

obeikandl.com

كي لا أنسى

بقلم: رياض شلال المحمّدي

جالسٌ في غرفتهِ الكئيبةِ قبالةَ الشبّاك ينفثُ بقايا دخانٍ، وشيئاً من تأمّلاتِ الدّجى.. تعتريه كلّما لاحَ وميضٌ يضيء من الشواردِ ما تولّى. وقد تراخت إحدى النّوافذ خاليةً من الزّجاج، منها يسمع ما كان يتواردُ إلى الآفاقِ من أزيزٍ تقشعرّ منه قلوبُ الواجمين، أو رشقات رصاصٍ من هنا وهناك، أو صوتُ منادٍ، وهو يقرأُ قصاصةً جاءته ينعى بها أحد الذين سقطوا من رفقائه أو أقربائه أو جيرانه .

هنا دلفت إليه أمّهُ تومئ بيدها لا تريد إيقاظ الصّغار النّائمين،

هرع مسرعاً، وهو لا يلوي على شيءٍ سوى حبّه الجارف لها عساه يكون من البارّين، إذا بها تشكو من ألمٍ في الفؤاد أوحاه

داءُ " ضغط الدّم " الذي قد لا يمهل صاحبه .

خرج – والظلام الدّامس يزيد الداءَ داءً – لعلّه يعثر على مَن يسعف أمّه، وأنّى له ذلك، وحظر التّجوّل يحرق ما تبقّى من

obeikandi.com

آمال الوقت الثّمين، لكنّه خاطر بروحه كي يصل إلى أقرب نقطة تفتيش، وقبيل اقترابه بخطوات عاجلته رصاصة مرّت من فوقه تنبيهاً. توقّف وأخذ يلوّح بخرقةٍ بيضاء بيده الوحيدة، حتّى إذا وصل، وهو يُتمتمُ بالكلام مع أحد المترجمين، قالوا له: اذهبْ وسوف نبعث بالإسعاف.

رجع وجلس مع أمّه، مرّةً يصبّرها ببعض خلجاتٍ، أو يحكي عن الخاليات أو، أو.. وهي ترنو إلى وحيدها، والدمع يكادُ يفرّ من أحداقها .

ساعةٌ، ساعتان، وثلاث، ولا من مسعفٍ، حتّى إذا بزغ الفجرُ، وانقضى حظر التّجوال أسرعوا بها إلى المشفى، وقد أمسكتْ هذه المرّة عن الكلام. قال الطّبيبُ: لقد تأخّرتم كثيراً .. وما هو إلا زمنٌ قليل حتّى فارقتْ الرّوحُ السّعيدة الجسدَ المتعب، راحلة إلى بارئها تخبره – وهو أعلم – بما فعل المجرمون بفلّوجة المؤمنين وأهلها الصّابرين..

آبَ إلى غرفته ونافذته الحزينة، ولكن ليسمع هذه المرّة نعيَ أمّه.

obeikandi.com

ضحيّة

عبد السلام دغمش

كعادتهِ كلّ يوم، هو أوّل من يصلُ الى عملِه.. وكان لا يغادر المصنعَ الذي يعملُ فيه إلّا وقدْ جالَ ببصره الحادّ، و بجسده النّحيلِ جنباتِ المصنع يتفقّد الآليات واحدةً تلو الأخرى، ويتأكّد أنّ كلاًّ من العمال قد أدّى المهام الموكلة إليه ويستفسرُ عن العلّة، إن كانَ ثمّةَ تأخير.

هكذا كان دأْبهُ، وهكذا عرفهُ أصحابُ المصنع، وإدارتُهُ.. متميّزًا بكدحهِ وإخلاصِه..وفوق ذلك بحُلو معشره .. أَطْرَوْهُ و قالوا أنت ذخْرُنا.. قرّة عيننا ..بلْ "قالبُ السكّرِ" بيْننا.

لازَمهُ ذاك اللّقبُ، فكانَ يُنادى بِ" قالب سكّر.."

سنون طويلة مرّت عليه، وهو يعملُ معهم بجوارحهِ، ونبض قلبه.. كلّ سنةٍ تمرّ كانت تحفرُ في قسماتِ وجهه أخاديدَ شاهدةً على عُمرٍ ولّى لنْ يعود..وتقوّسًا في ظهره يعدّ انحناءاته بعدد السّنين .. قليل الشكوى هو ..يتحاملُ على نفسه إذا أحسّ بالتّعب، ويجرّ جسده للعمل جرّاً إذا داهمهُ مرض.

كان شاهداً على مسيرة المصنع وإدارته لا ينفكّ ينافحُ عنهما، وأكثر ما يسرّه أن يرى المصنع متعافيًا أمام ناظريه، يكبُر كما يكبر أولاده ويشتدّون.

لم يحدثْ يوماً أن طالبَ بترقيةٍ أو زيادةٍ في معاشه.. وكان ذلك في نظرِه تجرّؤاً غير مبرّر.. فالإدارة في نظره أعلم بمن يستحقّ، ومن لا يستحقّ، وهي الأمّ الرّؤوم، وهم أولادها. فعليهم أنْ يرضوا بنصيبهم ولن تتخلّى عنهم..

ضائقةٌ ماليّة حطّت رحالَها بين جُدران المصنع، وأقامت بين جنباتهِ تطلُّ عليهم كلّ صَباحٍ بوجهها الكئيب .. فتقلّص كثيرٌ من الأشغال، واضطرّ أغلبُ الموظّفين لتركِ أعمالهم باحثينَ عن عملٍ آخر..أما هو فآثرَ البقاء على مشقّته وفاءً...

صارَ على إدارة المصنع وأصحابه أن يتجرّعوا مُرّ الأقداح.. حينها تذكّروا "قالبَ السكّر" ليتكئوا عليه بما يمتلكُ من درايةٍ وخبرة ..فبذلوا له حُلو الكلام ومدّوا له من الأمنيّاتِ بساطاً تهادتْ عليه أحلامُه. كان عليه أن يصل اللّيل بالنّهار كدّاً وجهداً...ثلاث سنين مرّت على هذه الحال حتّى انفرجت الأمور عليهم، لكنّها ضاقتْ عليه .. لقد ساءَ به الحالُ ووهنتْ أطرافهُ و اعتلّ. ذابت حبّات السّكّر في أقداحهم ليشربوها برْدًا على قلوبهم ..أمّا

وعودُهم فما كانت إلا غرورًا ..تطايرت أمانيّه كقطرات ماءٍ على حرّ الصّفيح..

لم يبقَ من قالب السكّر بعدئذٍ إلّا الغلاف.. صارتْ نظراتُ إدارةِ المصنعِ تزدريه وكأنّه عبءٌ عليهم، وتنشبُ في خاصرته أسهماً تثغبُ حسرة.. شعرَ حينها أنّه لمْ يعدْ مرغوباً به كما كانَ بينهم من قبل.. لململمَ ما تبقّى منه ثم رحلَ تاركاً بقايا من سكّرٍ ووفاءٍ على جدران المصنع!

المجنون

بقلم: كريمة سعيد

اركضي اركضي يا نجيدة ها هو ذا قادم ناحيتنا.. صرخت نجيدة وأطلقت رجليها للرّيح....

لقد كان بمثابة كابوس لكلّ التّلاميذ والتّلميذات، وكنت بدوري

obeikandl.com

أخشاه جدّا، ولكنّه كان يحفظ توقيت ذهابي إلى الإعداديّة..
أمّي لم تكن أبدا تضبط الوقت فكان كالمنبّه يراقب ذهابي بشغف كبير، ولا ترتسم الوداعة على محيّاه إلّا برؤيتي خارجة من البيت...
أحاول التّظاهر بعدم رؤيته، وأنا أتحيّن فرصة اللّقاء بأحد ما لتعود السّكينة إليّ كان يكتفي بمرافقتي ومراقبتي من الرّصيف المقابل فقط.. ولو حاول أحد ما معاكستي أو مخاطبتي بصوت مرتفع فالويل له..
نجيدة بمجرد رؤيتي أسرعت إليّ معانقة ومقبّلة، ولونها شاحب..
أرجوك اطلبي منه ألّا يؤذيني فقد أصبحت أعيش كابوسا ..
أمشي وأنا ألتفت إلى كلّ الاتّجاهات مخافة أن يلتقطني...
قلت لها بيقين: كونك تخشينه، فأنا لا أخشاه.. لذلك لا يستطيع إيذائي أو مطاردتي كما يفعل معك...
في قرارة نفسي أعرف أنّ الخوف منه يشلّني. فهل يعقل أن أكشف خوفي أمام نجيدة؟ لا وألف لا ..

مع مرور الوقت، اعتدت لعدم الانتباه لوجوده، بل أصبحت أحسّ بامتلاك قوّة خارقة يمدني بها ذلك الإحساس بالأمان

obeikandi.com

والقوّة.. هناك من سيحميني من أيّ خطر محتمل .. يا لروعة هذا الكائن الذي جعلني ملكة يهاب جانبها!

اكتسبت الثّقة والاستقلاليّة، وأصبح لي رأي في مواقف كثيرة جدّا، رغم صغر سنّي.

بالرغم من الشّكاوى المقدمّة من بعض الناس، إلّا أنّ السّلطات كانت تواجههم بأنّه لا يعتدي على أحد... وقد حاول بعض الجيران والمعارف إخافة والدي بغرض التّقدّم بالشّكوى ضدّه، ولكنّه رفض؛ لأنّ الرّجل لا يعترض سبيلي ولا يضايقني...

ووالدي كان يتقي الله، ولو عبّر عن الرغبة في التّخلص من الرّجل فسيختفي في ثوان... ولكن حرام أن يتحالف مع الدّهر فيزيد من بأس الرجل، فهو إنسان من لحم ودم. الله يعفو عليه..

(تهلاّو فيه مسكين لا حنين لا رحيم) ..يقولها أبي كلّما رآه متسمّرا على الرصيف المقابل، يراقب بيتنا..

نجيدة تصرّ وتلحّ عليّ: إنّه سيمتثل لأيّ طلب تطلبينه منه، فهو ملاكك الحارس فاطلبي منه أن يدعني...

- لا أستطيع، فأنا لا أتحدث معه.

- فقط اطلبي منه..

انضمّت إلينا لويزة وبدون مقدمات :حصلت مرّة أخرى على

أول نقطة؟ لا أعرف لماذا؟ فالأستاذ يحابيك على حسابنا كلّنا..

نظرت إليها وقلت: الورقة تحدّد، فاذهبي واشتكي للإدارة..

تعلمين أنّ مواضيعي تعجب دائما أساتذتي..

كنّا لا زلنا على بعد خطوات من ثانويّة عبد الكريم الخطابي ..عندما لحقت بنا السّعديّة وبادرتني بالسّؤال عمّا كتبت عن جبران خليل جبران، فأطار بعقل الأستاذ وأعجب به لهذا الحد... المسألة ما عادت تحتمل فأنت دوما الأولى...

- اهتمّي بدروسك، وقدّمي أجوبة بجودة أجوبتي، وستحصلين على الدّرجة الأولى فجأة، ارتفع صوتها، ودخلت في عصبيّة هستيريّة لم أستوعبها.

كانت تصرخ، وكأنّها تحمّلني مسؤوليّة كلّ ما يحدث معها بالحياة، وأنا صامتة لا أجيبها ممّا زاد من ثورتها.. وما هي إلّا ثوان حتّى هاجمها الملاك الحارس بكلّ قوّة وضراوة، وعضّ أنفها بشكل مخيف..

هربت الأخريات مفزوعات يتصايحن ويطلبن النّجدة... ولم يتوقف إلّا على إيقاع صوتي، الذي ارتفع بالصّراخ والبكاء.

كانت تلك آخر مرّة أراه فيها، ولكنّ صورته وهو واقف ينتظر خروجي من الإعدادية أو الثانوية، أو وهو يدور حول نفسه على

obeikandi.com

الرّصيف المقابل لباب منزلنا لم تفارقني يوما... ولا أعتقد أنّها ستفارقني يوما، وأنا على قيد الحياة، خصوصا تلك الابتسامة الوديعة، وهو يلوّح لي مودّعا خلف الباب الحديديّ...

قال لي والدي – رحمه الله – بأنّ أفراد عائلته قد أدخلوه المصحّة بالعاصمة قصد العلاج، فهو من عائلة معروفة جدّا، وقصّة جنونه ارتبطت بفرار زوجته الأسترالية بولديه، وانقطاع أخبارهم عنه.

فبعد محاولات عديدة لإيجادهم، انفجر في أحد الأيّام غاضبا في محلّ عمله –كان مهندسا معماريّا ناجحا جدا– فخرج من هنالك وتوجه إلى منزله، وأضرم النّار في كلّ شيء، قبل أن تنتابه حالة هستيريّة أدخل إثرها إلى المستشفى.. وبعد خروجه استمرّ على تلك الحالة...

غريب ذلك الرّابط الذي يربطني بهؤلاء المجانين، الذين استطعت دوما اكتساب تعاطفهم الكبير، وبالمقابل تظلّ صورهم تلحّ على ذاكرتي، وتنعش إحساسي بأبوتهم لي رغم الجنون والهوس.

obeikandl.com

أسود .. أبيض

بقلم: بهجت الرشيد

بدا له للوهلة الأولى أنّ كلّ التّناقضات سوف تختفي، وتختفي معها الفوارق الطبقيّة القاسية جدًا .. تذوب أمام حشد من المعطيات الإيجابيّة يوماً ما .. وسيغدو العالم مكاناً أكثر عدالة واحتراماً، حيث يمكن للإنسان حينها أن يكون إنساناً..

لقد بدا له، وهو يتوجّه إلى الحلم .. العدل .. المساواة .. الأمل المنشود..

وككلّ التّوجهات، كان لا بدّ من العوائق والعقبات في الطريق، وسالكو الدرب يدركون ذلك تماماً، ولكن ماذا لو كانت تلك العقبة تمسّ أخص ما في الإنسان الأسود، لون جلده الذي لا اختيار له فيه ؟

بدا له..

في ربيع عام ١٩٣٥، والأجواء تزيد الحياة عبقاً .. وضّب أغراض السّفر للانطلاق؛ مسافرًا إلى نيويورك تلبية لدعوة حضور مؤتمر الكتّاب الأمريكيين اليساريين، بحث من اللّجنة الشّيوعيّة المحليّة التي عيّنته مندوباً..

obeikandi.com

لم يكن متحمّساً للذّهاب، وقد استقبل الأمر بفتور بسبّب الهوّة الفاصلة بينه وبين الأغلبيّة، التي أحسّ أنّها تسبح عكس اتّجاهه.. وهو الذي غادر الجنوب الأمريكيّ والكبت والتّعصّب العنصريّ متّجهاً إلى الشّمال، حيث يستطيع أن يتكلّم بحريّة ويتخلّص من الخوف، أو هكذا ظنّ.. فإذا هو يواجه مرّة أخرى الخوف الذي فرّ منه..

حطّت طائرته في نيويورك فحطّت معه آلامه ومعاناته..

لم يكن (ريتشارد رايت) يدرك جيّداً أن لون جلده سيثير الارتباك والحيرة في قاعة (كارينجي)، مكان المؤتمر، عندما سأل عن مكان النّوم ومعدّاته، فوقف مشدوهاً أمام اثنين من أعضاء نادي (جون ريد) وكلّهم شيوعيون بيض ، يتباحثان جانباً في كيفية إيجاد مكان لهذا الزّنجي الأسود!

لقد نسي خلال رحلته لون جلده، كان عقله يسيح في مكان آخر، حيث مشاكل الكتاب اليساريّين الشّباب، فاصطدم بحاجز فولاذيّ، عندما رأى رفيقاً له في المسيرة يتحدّث بعصبيّة عن لون جلده ..شعور بالاشمئزاز انتابه..

. لحظة واحدة أيّها الرّفيق سوف أجد لك مكاناً . قالها الرّفيق الأبيض.

. ولكن أليست لديكم أماكن جاهزة ؟ إنّ أمثال هذه الأمور تجهز عادة من قبل.

لمس ذراعه ليطمئنه بأنّه سيجد له مكاناً، بينما ذهب (ريتشارد) بالقول بأنّ لا يزعج نفسه، فهزّ الأبيض رأسه مصمّماً على أنّ هذه مشكلة لا بدّ أن يجد لها حلاً.

فلم يتمالك (ريتشارد) نفسه فردّ قائلاً : ما كان ينبغي أن تكون مشكلة..

فاستدرك الأبيض : أنا .. أنا ما قصدت هذا..

ولاحظ هناك قريباً عيوناً تراقب كيف أن شيوعيّاً أبيض يحاول عبثاً إيجاد مكان لرفيقه الأسود .. أحسّ حينها بالخزي، وجعل في سريرته يلعن هذا الموقف..

بعد دقائق عاد الأبيض زائغ النّظرات يغطيه العرق، فبادره (ريتشارد) بالسّؤال إنّ كان قد وجد مكاناً، فأجاب وهو يلهث بالنّفي، ثمّ طلب منه قرشاً كي يستعمل الهاتف للتّحدث إلى شخص قد يحلّ المشكلة..

فردّ عليه (ريتشارد) بأن لا يزعج نفسه، وأنّه سوف يجد مكاناً، لكنّه طلب منه أن يضع حقيبة ملابسه في مكان إلى أن ينتهي اجتماع الليلة، فأجابه بلهفة لم يستطع إخفائها: أتعتقد حقّاً أنّك تستطيع أن تجد مكاناً ؟

فأجابه طبعاً أستطيع..

لقد كان الرّفيق الأبيض يودّ أن يساعده، لكن من غير أن يعرف كيف.. فأخذ حقيبة (ريتشارد) إلى إحدى الغرف..

obeikandi.com

دخل الاجتماع، لكنّه لم يكن يصغي إلى الخطب وإنما يتساءل:
لماذا أتيت ؟

وبعد الاجتماع، وجد نفسه وحيداً على أرصفة نيويورك هائماً على وجهه من غير هدف، ومتسائلاً عن كيفيّة قضاء تلك الليلة، وهو لا يحمل مالاً سوى جلده الأسود الذي تعاشق مع لون اللّيل، سوادان يلفّ بعضهما البعض يحكيان حالة من الكآبة الدّاخلية، والصّراع النّفسيّ والصّدام الواقعي والتّمزّق..

أشغل نفسه قليلاً بالتّطلع في وجوه النّاس حتّى قابله عضو في نادي (شيكاغو)، فسأله إذا ما وجد مكاناً لينام فيه، فأجابه (ريتشارد) بالنّفي، ثم صرّح له برغبته في دخول فندق، لولا أنّه غير مستعد ليتجادل مع كاتب الفندق حول لون جلده..

فتعجب عضو النّادي، وطلب منه أن ينتظر، ثمّ عاد ومعه امرأة بيضاء سمينة عرضت عليه أن ينام اللّيلة في منزلها.

وعندما وصلا المنزل، بادر (ريتشارد) بشكرها وزوجها على استضافته، وذهب للنّوم على سرير صغير في المطبخ..

كان ذلك مختلفاً، فالكوّة المظلمة التي تكدّست فيها أيّامه التي لا تحمل سوى دقّات متكرّرة .. سيمفونيّة مملّة تعزف كلّ حين على نفس الوتر .. يتشابه فيها الماضي مع الحاضر، تلك الكوّة في ذلك الفجر، انفتحت على أشعّة من ضياء سرعان ما لامس

قلبه، فأبصر النّور واستجاب للنّداء، فغدا باطنه عكس ظاهره، بعدما كانا سواء بسواء أسودين..

كان لا شيء.. عبدًا أسود، آلة، لا يملك حياته.. قد اشتراها سيّده من سيد آخر!

يخدم بصمت، فيحصل على حفنات من طعام يسكت به جوعته، ويدفع عن نفسه الموت، يدفعه إلى أعماق النّسيان..

لا أمل هناك ولا ألم.. لا شكوى ولا غد..

كان لا شيء .. فأصبح كلّ شيء..

ثمّ ما لبث خبر إسلامه أن ملأ مكة وشعابها، فمال إليه سيّده الطّاغية ميلاً شديداً قاسياً.. ودارت الشّياطين في رأسه، توعّده، هدّده، خوّفه، ولكنّه لم يبالِ.. لقد أبصر النّور..

سجنوه، وعلى الرّمضاء عذّبوه.. في حرّ الظّهيرة، والشمس تلتهب اجتمعت عليه رؤوس الكفر وأذاقوه ألوان العذاب.. ربطوه بحبال وأمروا الصّبيان أن يسحلوه طوافاً على جبال مكّة وشوارعها.. وضعوا على صدره المليء إيماناً حجراً ينقله الرّجال ..

إنّها كلمة واحدة يا بلال، وتنتقل بطرفة عين من الجحيم إلى النّعيم.. كلمة واحدة وتكون الحال غير الحال.

. اذكر أصنامنا وتنكّر لمحمد ودينه..

فيأبى.. ويقول إنّ لساني لا يحسنه.

وتنهال السّياط على جسده النّحيل.. فيتداخل ألم السّياط بأمل الغد. فبعد سنوات من الجهاد ضدّ العوائق والعقبات، ارتقى هذا الأسود أجلّ منابر الإسلام، وصدح بصوته الشّجيّ النديّ منادياً لأعظم فروض الإسلام.. ولقّب بالسّيّد..

انطلق (ريتشارد) صباحاً إلى الرّصيف، وجلس على مقعد هناك؛ كي يكتب بعض النّقاط لأجل المناقشة دفاعاً عن النّوادي اليساريّة، ولكنّ مشكلة النّوادي في تلك اللّحظة بدت تافهة له، والمشكلة التي بدت له على جانب من الأهميّة هي:

هل يستطيع الزّنجي في هذا البلد اللّعين أن يحيا حياة قريبة من حياة البشر؟

obeikandl.com

الدّار

بقلم: عبد المجيد برزاني

كانت تتفرّس صفحة إشهاريّة لجريدة. علتْ وجهَها ابتسامة عريضة عندما دخلتُ الشّقّة وأسرعتْ نحوي: انظرْ حبيبي، تجزئة في غاية الرّوعة.. بقع أرضيّة من مئة متر.. منطقة خضراء للعب الأطفال.. طابقان ومرآب للسيارة و..و...و....هه، مارأيك حبيبي؟

وكنت كلّما سمعت كلمة "حبيبي"، اعترتْني حالةُ استنفار وتأهّب لمصيبة ما، أوعلى الأقلّ، لضائقة ماليّة قد تطول بضعة أشهر.

– وما شأني أنا ؟ ما أهميّة رأيي؟ أريد ماء دافئا لأصلّي المغرب.

– وبعد الصّلاة، المقهى والجرائد.. ثمّ النّوم. وفي الصّباح العمل ثمّ المقهى فالنوم.. أصبحت تخنقنا هذه الرّتابة .

ابتدأتْ.. هذه المقدّمة أعرفها جيّدا، تبشّر دائما بقرب حلول معركة سجاليّة، سرعان ما يأخذ فيها الأطفال صفّ أمّهم، ولن تنفعني معهم لا دروس الوعظ والإرشاد، ولا التّرغيب والنّرفزة

obeikandl.com

والتّهديد، ولا أيّ شيء سوى أن أنصاع وأُلِمَّ الموضوع، قبل تدخّل أطراف أخرى (حماتي مثلا) تزيدُ الطينَ بلَّة، وتُشعِّب الخلافَ.. وقد ينتهي بما لا تحمد عقباي...هكذا علّمتني تجربة عشرين سنة أن أتخطى كلّ صداع الرأس هذا، وأذهب مباشرة إلى المفيد:

- ماذا تريدين الآن يا امرأة ؟

- نشتري بقعة أرضيّة في هذه التّجزئة.

- نشتري بُقْ...؟ من أين لي بثمنها؟

- نبيع هذه الشّقّة المقرفة.

- نبيع الشّقّة؟ ونسكن على بقعة أرضيّة عارية؟

- ألْلاَّ.. نبني عليها كما يفعل جميع الخلق.

- ومن أين؟ إذا كان ثمن الشّقّة بالكاد يساوي ثمن البقعة.

- اقترض من البنك .

- البنك؟ أنا لم أنته بعد من تسديد أقساط السّيّارة.

- زد قرضا آخر.

- ولِمَ كلّ هذا العناء والشّقّة واسعة، تسعنا كلّنا مهما كان عدد الضيوف؟..

– أريد دارا...الدّار هي التي ستفقأ لي عين جارتي خديجة.

– ولماذا دار؟ مفكّ براغ، مثقاب كهربائي، أيّ شيء حادّ يفقأ لك عيون جميع نساء الحيّ.

– الدا..الدّار...

– سنعيش في ضنك قد لايتحمّله الأولاد...

– الدّار.

– التّجزئات تكون بعيدة عن المدارس والمستوصفات والمرافق العموميّة..

– الدّار

– سنفتقد الأصدقاء والأصحاب، ونبتعد عن بيت أهلك وأمّك العزيزة.

– العزيزة؟ ...الدّار.

لا جدوى، هي الدّار...والدّار وما أدراك ما الدّار!...فقد دخلتُ دوامة السّماسرة والبنوك، والموثّقين، والمهندسين والإدارات..

مكتب يسلّمني لمكتب.. وثيقة تسلّمني لوثيقة، حتّى أصبحت التّصاميم والوثائق الإداريّة في محفظتي أكثر من المصوغات التربويّة

obeikandi.com

والكرّاسات...جاءت بعدها دوّامة البناء والنّجار والحدّاد والصبّاغ.. ولكلٍّ مقامه ومقاله...لا بدّ أن ألقي على كلّ واحد منهم درسا في العفّة والأمانة، ومحاربة الغشّ، وهي دروس لا محالة فاشلة. لا كفايات نفعتْ فيها ولا إدماج؛ لأنّ الأمر كان دائما يستلزم منّي الحضور باكرا، والمراقبة العينيّة طوال النّهار، والحساب... أدمنت الضّرب والجمع والطّرح والقسمة والتّحويل، أحسب في الدّار، وأحسب في المقهى، وأحسب في القسم ، حيثما رحلت وارتحلت أحسب..

تعبتُ كثيرا، تعبت كثيرا.. لكنّي بنيتُها، رغم أني بعتُ السّيّارة وفقدتُ الشّعيرات التي كانت تستر على رأسي ما عاثه الزّمن، ورغم أنّني استفقت ذات صباح على صوت الطّبيب يخبرني أنّ ضغط دمي جدّ مرتفع، وعليّ إجراء تحاليل داء السّكري. ورغم صدق حدس الطّبيب، ورغم تقارير السّيد المفتّش وشماتة الزّملاء.. إلّا أنّني بنيتُها، بنيتها وحقّقت على الواقع ما كان في مخيّلة زوجتي وأمّها من تصاميم غريبة للمطبخ وللحمّام والشّرفات

و..و...و ...

obeikandl.com

ولأنّي بنيتُها، وفقط لأنّي بنيتها، عليّ الافتخار بقدراتي وجلدي وصبري وتحمّلي..

هذا الصّباح، وأنا أتلذّذ بأشعّة الشّمس في الشّرفة، عادت ابنتي من كليّتها متأبّطة جريدة فتحتْها أمامي:

– انظر، بابا.. تجزئة بقع أرضيّة للفيلات بعيدة عن تلوّث المدينة، وتطلّ على البحر، كما أنّها .. بابا !؟ بابا ما لك ؟ بابا، بابا.. ماما..ماما بسرعة ماما...

obeikandl.com

حركات لم نألفها

بقلم: ريمة الخاني

أحست بحركات غير طبيعيّة في هذا المكان الهادئ والجميل.. غدت تلك الحركات والخربشات تتكرّر بإيقاع غريب ورتيب جدّا.. كانت قريبة وخفيّة. يقترب الصّوت ببطء بشكل يثير الحفيظة، وكأنّه بات في أذنيها.. أهي في وهم وهلوسة؟ ورغم ما تملكه من شجاعة أثارت الأصوات الغريبة ريبتها، كأنّها كانت تزداد علوا وقربا.

بات من الضّروري إنهاء مهمتها الرّوتينية الآن وبسرعة؛ لكي تبدأ من جديد تباشير المهمّة التّالية.

كأنّ أحدا يدقّ مسمارا في الجدار، أو ربّما يدقّ ثوما في هذا العصر القائظ، ثوم كثير للمؤونة. يا للعجب! كان رتيبا بشكل مزعج للغاية.. يجعلك نزقا رغما عنك، وكأنّك في سجن انفرادي مقيت، يقطع عليك هدوءك وسكينتك التي تريد أن تعمّ في هذا المكان، في عصر يوم مختلف كلّ الاختلاف بالنسبة لها على

obeikandi.com

الأقل. إنّه يوم غريب جدّا.. بات يتحرّك صوبها.

كأنّه وحش متخفٍّ بمائة رداء ورداء.. يقترب ويقترب، وكأنّه كائن غريب يريد شيئا ما بعناد. مازالت ترتّب المكان متوجّسة وناظرة بحذر تجاه المصدر. بدأت تسرع كي تنهي ما لديها من أعمال بعد أن ترك تلاميذ الفوج الأول حاجاتهم وبقايا أغراضهم المتنوعة، والتي كانت كلّ مرّة تحفظها على أمل أن تردها لهم حين عودتهم. والغريب في الأمر، أنّها أنهكت تماما وهي تعلّمهم أصول ترك مجالس العلم برويّة وهدوء ونظام، لكنّ الفوضى تسري كالهشيم في تلك النّفوس الطّفوليّة والذّنب ليس ذنبها، فهي تعشق التّرتيب، لكنّ الظّروف تخالفها دوما.. هدأ الصّوت فجأة، فتنفّست الصّعداء، وعادت لهدوئها ترتّب من جديد، وتنظّف قدر ما تستطيع.. حينذاك تذكّرت مقولة والدها التي تثير ضحكها دائما:

- مئة زبّال لن يستطيعوا جمع مخلّفات فوضويّ واحد.

نطمع بجهد كلّ عنصر نشيط، ولا نقوم بأدنى تعاون لمؤازرته بل نقول بسخرية:

- متطوّع يبحث عن ثواب.

استغربت ما دار في ذهنها، وكأنّ أحدا ما يهمس لها: ما هذه الفكرة الهوجاء؟ هل هناك من يرفض الإصلاح؟ هي تتوهّم مؤكّد.

دقّ الباب، فظهر مشرف المسجد متلفّتا بأرجاء المكان.

- هل انتهيتم؟

لم تفصح عن وحدتها وقالت:

نعم وننتظر الفوج الجديد

- حسنا دعوا هذا المتاع لديكم..

ما إن أغلق الباب حتّى عاد الصّوت قويّا مدويّا مزعجا وعنيدا.

كيف نسيت أن تسأله عن هذا الأمر الغريب؟ أم أنّ عجلته ألجمتها؟

فتحت كلّ الجوارير بحركة جنونيّة، وكأنّ صبرها العنيد ضاع، وذرّته رياح المشاغبة.. وبدأت تتوجّس خيفة من إصرار الصّوت على إزعاجها.

تمنّت أن لا يأتي أحد هذا اليوم.!

ليس هذا هو جوّ السّكينة والهدوء الذي يصلح للدّراسة. هل هم

obeikandl.com

الجيران الذين يجهلون عناءهم والعبء الذي يحملونه؟ وكأنّ الأمر بات مقصودا.!

بدأ الماء يتسرّب من بين النّوافذ والأبواب.. فتحت الباب لتنادي من يسمع.. ربّ أحد ما قريب من هنا.

عادت لتجد نفسها محاصرة تماما.

صرخت بأعلى صوتها، لكنّ أحدا لم يسمعها...

obeikandl.com

الفهرست

فروسية ٥
صياد ١١
العجوز ١٥
وغشيني النعاس ١٩
أضواء في ليل جنين ٢٢
قبضة من حبات الزيتون ٣٠
ولكنه حيّ ٣٣
الدائرة ٣٧
رحلة حياة ٤٨
دعني أحلم قليلا ٥١
الرافض ٥٤
حكاية شهيد ٥٦
شرك الشيطان ٦١
دجاجة بياضة ٦٧
الإبر المسمومة ٧١
أعوام الألم ٧٨
شريطة حمراء ٨٢
سبعة عيون ٨٧

obeikandl.com

العصفور الأخضر ٩٥
بقايا الأمس ٩٩
الأحزان القديمة ١٠٢
عند مغرب الشمس ١٠٦
ضوضاء ١١٤
الفاجعة ١١٨
فروسية ١٢٤
عقوق ١٢٨
رحيل مع الأمل ١٤٠
صراع مع الموت ١٤٤
ملامح حزن ١٥٢
الرواية...................... ١٥٦
غروب ١٦٠
كي لا أنسى ١٦٣
ضحية ١٦٥
المجنون ١٦٧
أسود أبيض ١٧٢
الدار ١٧٨
حركات لم نألفها ١٨٣

obeikandi.com

مجموعة من أدباء رابطة الواحة الثقافية

خمائل الواحة

الطبعة الأولى (٢٠١٣)

دار الجندي للنشر والتوزيع – القدس

٠٠٩٧٢٢٣٤٠٠٣٥

info@aljundi.biz

www.aljundi.biz

لا يســـمح بإعادة إصـــدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق اســـتعادة المعلومات، أو نقله بأي شـــكل من الأشـــكال، بدون إذن خطي من الناشر.

All rights reserved. No part of this publication may be reproduced or transmitted in any from or by any means, electronic or mechanical, including photocopy, recording, or any information storage and retrieval system, without the permission in writing from the publisher.

obeikandi.com

obeikandl.com